خالد البسّام

البحرين تروي

جداول Jadawel

مقدمة «مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث»

تتميز ثورة البحرين بعمق جذورها التاريخية، والتي تمتد لاكثر من قرنين هي تاريخ قدوم عصابة آلخليفة لحكم البحرين بمساندة الإستعمار البريطاني؛ اضافة إلى انها تغطي مساحة شاسعة من المفاهيم والاسباب تتعدى الفساد المستشري في البلاد او انتهاك حقوق العباد، والتي من اجلها كانت ازمة ثقة حادة بين العصابة الحاكمة والشعب، مما ادى لإستجلاب الأول للمرتزقة في كافة اجهزته القمعية.

قدم المعارضة البحرينية من جهة، وتمتع شعبه باعلى المستويات الاكاديمية من جهة اخرى كانت رافداً لإثراء المكتبة العربية بالكثير من الكتب والمصادر، والتي تُمنع باجمعها في البحرين ضمن سياسة تكميم الافواه وإزهاق الأرواح، ومن أجل هذا يقوم «مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث» المنبثق من «إئتلاف شباب ثورة 14 فبراير» بنشر نسخة رقمية مصورة من تلك المصادر والتعريف بها وما تحويه اولاً، اضافة لتعاونه مع كافة المراكز والمؤسسات المعنية بالأبحاث السياسية والاجتماعية والتاريخية في مجاله لاحقاً.

هذا الكتاب

الكتاب: البحرين تروي

المؤلف: خالد البسام

سنة النشر : 2011 م

الناشر: جداول للنشر والتوزيع

تعريف:

لا يمكن لأي كاتب يؤرخ للبحرين مهما كان حذراً من شرطة فكر عصابة آل خليفة ان يخفي عمق ازمة الثقة التي كانت بين الشعب والعصابة منذ احتلالها للبحرين بحماية الاستعمار البريطاني؛ حيث كان شعب البحرين دائماً مع القضايا والمواقف العادلة لاخوانهم المسلمين والمظلومين في كل انحاء العالم، في الوقت نفسه كانت عصابة آل خليفة دائماً في صف الاستعمار والظلم والاضطهاد.

في كل فصل من هذا الكتاب، بقي اثر لعمق الازمة بين الشعب وعصابة آل خليفة الغزاة، فمثلاً في احداث الحرب العالمية كان في تقرير الوكالة البريطانية لعام 1914م : «إن موقف الشيخ عيسى وعائلته [آل خليفة] موال تماماً معنا، لكن عامة الناس وايضاً عدد من التجار موقفهم مقلق جداً، قد ظهرت معاداة كبيرة للدول التي تحارب ضد تركيا، وظهر شعور ديني واضح مع الاتراك [ص 20]».

البحرين
تــروي

عمل
ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

خالد البسّام

البحرين تــروي

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

Jadawel جداول
S.A.R.L ش.م.م

الكتاب: البحرين تروي

المؤلف: خالد البسّام

جداول

للنشر والتوزيع

الحمرا - شارع الكويت - بناية البركة - الطابق الأول

هاتف: 746638 1 00961 ـ فاكس: 746637 1 00961

ص.ب: 5558 - 13 شوران ـ بيروت ـ لبنان

internet site: www.jadawel.net

e-mail: info@jadawel.net

الطبعة الأولى

كانون الثاني / يناير 2011

جميع الحقوق محفوظة © جداول للنشر والتوزيع: لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

طبع في لبنان

Copyright - by

Jadawel S.A.R.L

Hamra Street - Al-Barakah Blg.

P.O.Box: 5558 - Shouran

Beirut - Lebanon

First Published 2011 Beirut

تصميم الغلاف : محمد ج . ابراهيم

المحتويات

البحرين تروي 3
قبل القراءة 7
البحرين في الحرب العالمية الأولى 9
معارك الغذاء والإشاعات واللؤلؤ! 9
نائب ملك بريطانيا يزور البحرين عام 1903م 25
عناد يعكّر بهجة مدافع التحية! 25
باحث عراقي يزور البحرين نهاية 1912م 33
عالي ... أعظم مقبرة في العالم 33
بدايات أول مدرسة نظامية في البحرين 51
التلاميذ النجباء 51
بكاء في المحرق لوفاة مصطفى كامل وتبرعات لعمر المختار . 75
البحرين تناصر القضايا العربية! 75
تشارلز بلجريف أشهر مستشار بريطاني في الخليج 83
هذه هي البحرين إذن 83
الهندي بندركار يعالج غواصي اللؤلؤ في البحرين 93
طبيب فوق الأمواج 93
الأديب اللبناني أمين الريحاني يزور أول مدرسة نظامية في البحرين عام 1922م 105

مفكر بثياب غير مرتبة وأفكار عظيمة 105
أندية البحرين في القرن العشرين 113
روزنامة حافلة بالألعاب والكتب والأسماء والأحلام 113
نادي إقبال أوال (المنامة) 1913ـ1913م: 115
النادي الأدبي الإسلامي (المنامة) 1913ـ1917م: 119
النادي الأدبي (المحرق) 1920ـ1928م: 122
المنتدى الإسلامي (المنامة) 1928ـ1936م: 124
النادي الأدبي الثاني(المحرق) 1930ـ1936م: 128
أندية الثلاثينيات ... العصر الذهبي 131
نادي البحرين1937م: 136
نادي العروبة 1939م: 139
النادي الأهلي 1939م: 142
اكتشاف النفط في القرن العشرين 151
البئر رقم واحد في البحرين تغيُّر المنطقة! 151
«الحلقة» أول مجلة بحرينية تصدر في الخارج 161
صفحات قليلة تعرف «البحرين» المجهولة! 161
المثقف كمال المهزع يؤسس المعادلة الصعبة في المنامة
عام 1940م 171
نادي المختلط ... صحف وألعاب مسلية! 171
الفهارس العامة 181
كتب خالد البسام 197

قبل القراءة

لم تكن البحرين بجزائرها القليلة والصغيرة موطنًا للُّؤلؤ والنخيل والماء العذب والعيون الطبيعية فقط، بل كانت أيضًا جزائر للحكايات وبحرًا من القصص والتاريخ.

فمع بداية القرن العشرين بالذات بدأ كل شيء في هذه الجزائر الصغيرة يتغير ويتطور ويتسابق في إنشاء المدارس والبلديات والأندية الرياضية، والحركات السياسية والمنتديات الثقافية وإصدار الصحف والمجلات، وراحت تسابق غيرها من بلدان الخليج في السينما والمسرح والطباعة والفنون والثقافة وغيرها.

ولم يكن كل هذا التطور منّةً من أحد غريب على البلاد، ولم يحدث فجأة بدون مقدمات تطوُّر حضارية، بل جاء طوعيًّا وبحماس شديد من قبل أهل البحرين الذين عرفوا الحضارة منذ وقت مبكر في التاريخ.

بجانب كل هذا التقدم الكبير في المجتمع البحريني جاءت الحكايات تتلوها حكايات وحكايات لم تنتهِ، بعضها تؤرخ للعَرَق والتعب الذي قدمه الناس من أجل أن يتطوَّروا، وبعضها روى بعض المآسي في تاريخ بلد كان مثل غيره في منطقة الخليج لم يستفد من النفط أو لعنته إلّا متأخرًا.

كل صفحات وسطور وصور هذا الكتاب القديمة حكايات

حاول بعضها أن يشبعنا قصصًا عن ماضٍ جميل لن يعود، وبعضها حكايات تقدم الكثير من العبر، وحكايات نقرأها وكأنها اليوم أمامنا بلا تغيير، وكأن عشرات السنوات لم تمر عليها.

لكن كلها حكايات من التاريخ، من زمن لم يتعلم فيه البشر كيف يروون بالكتابة وكيف نهضوا وكيف ضنوا وكيف عاشوا بطمأنينة القناعة التاريخية.

إنها مجرد حكايات صغيرة تستحق أن تروى.

خالد البسّام

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

البحرين
في الحرب العالمية الأولى

معارك الغذاء والإشاعات واللؤلؤ!

لم يغير حادث اغتيال ولي عهد النمسا، فرانز فرديناند، في اليوم الثامن والعشرين من شهر يونيو/حزيران من عام 1914م هدوء جزر البحرين، ولكن تواليَ الأحداث، وبدء أولى طلقات المدافع، واستعدادات الجيوش في كل أوروبا، قلب هذا الهدوء إلى أجواء صاخبة، وقلب الطمأنينة إلى الكثير من القلق والترقُّب.

فبعد حادث الاغتيال الشهير، وإعلان النمسا، وهنغاريا، وروسيا وبريطانيا وتركيا وغيرها الحرب، دخل العالم كله جحيمًا من الدمار والأزمات والمصائب ولم تستطع البحرين الفرار من بعضه على الأقل.

وبينما كان دخان مدافع الحرب يملأ سماء أوروبا، كان التموين وارتفاع الأسعار عمومًا، والمواد الغذائية خصوصًا، هي أولى المدافع التي أصابت أهدافها في البحرين.

فلم تمضِ سوى أسابيع قليلة على إعلان الحرب حتى اضطرت حكومة البحرين إلى التدخل في التموين وتحديد الأسعار الغذائية.

ويكتب حاكم البحرين آنذاك الشيخ عيسى بن علي آل خليفة

رسالة إلى القبطان (تي لنج كيز) باليوز البحرين (الوكيل السياسي البريطاني) رسالة يقول فيها: «محبُّكم يشكركم على موافقتكم لنا في مسألة منع تخريج المأكولات للخارج في هذه الحرب، ومن المعلوم أن هذا المنع هو لصالح البلاد وتأمينًا لقلوب الساكنين في البحرين الضعفاء. ومحبُّكم يرجو من سعادتكم تأمين الوقت المناسب لعقد المجلس المخصوص للنظر في احتياج المأكولات وأسعارها». وكان الشيخ عيسى بن علي يتحدث عن توقف تصدير بعض المواد الغذائية التي كانت البحرين تقوم بتصديرها من مينائها إلى بعض بلدان المنطقة، ويشير في الوقت نفسه إلى ضرورة تدخّل الحكومة لتحديد الأسعار لمنع التلاعب والارتفاع الكبير المتوقع.

صورة نادرة للشيخ عيسى بن علي شيخ البحرين

وبالفعل يعقد اجتماعًا خاصًّا حضره كبار تجار البحرين من البحرينيين والأجانب، بحضور ممثل عن الشيخ عيسى والوكيل السياسي البريطاني.[1]

وتمَّ في ذلك الاجتماع تحديد أسعار المواد الغذائية في رسالة كتبها التاجر المعروف، يوسف كانو، إلى الوكيل السياسي.

وكانت الأسعار كالتالي:

أرز «بالام»: ست عشرة روبية للكيس.

أرز «فارمايشي»: خمس عشرة روبية للكيس.

قمح رقم (1): ست وعشرون روبية للكيس.

قمح رقم (2): أربع عشرون روبية للكيس.

طحين رقم (1): ثماني عشرة روبية للكيس.

طحين رقم (2): ست عشرة روبية للكيس.

طحين رقم (3): خمس عشرة روبية للكيس.

قهوة: ثلاث وثلاثون روبية للمَنّ.

سكر: خمس وعشرون روبية للكيس.

دهن البصري: أربعون روبية للكيس.

كما اتفقت الحكومة مع التجار على أن تفرض غرامات على أصحاب الدكاكين الذين يبيعون زيادة على تلك الأسعار المحددة.

---

(1) سجلات مكتب الهند؛ لندن؛ R/15/2/67

وبعد نهاية الاجتماع يكتب الوكيل السياسي البريطاني رسالة إلى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر (كنوس. بي. آل) يقول له فيها عن أوضاع الحرب في البحرين: «عند إعلان نشوب الحرب كان هنا ما يشبه الذعر، كما أن الأسعار راحت في الارتفاع. لقد فاتحني العرب عبر يوسف كانو، طالبين مني أن أنصح الشيخ لوقف تصدير البضائع وتثبيت الأسعار، ولقد فعل ذلك».

ويضيف: «لقد عقدت اليوم اجتماعًا، وقمنا بتثبيت أسعار جميع أنواع البضائع، وقد استحسن ذلك التجار العرب والفرس، أما التجار الهنود فلم يكونوا سعداء بذلك. وفي الاجتماع أكَّدت للجميع أن هذا الخطر ليس إلَّا إجراءً مؤقتًا لتحاشي الوضع الصعب، وأن هذا سوف يتغير حالما تأتي وتتوفر جميع البضائع. إن التمور ستكون في أقل سعر لها وستكون متوفرة، وقمح البصرة سيكون أيضًا متوفرًا، لكن تدنِّي القوة الشرائية لدى الناس هنا دلالة خطر».

ويكمل: «إنَّ ما يقلقني حقًّا، بالرغم من أن العرب هنا لا يرونه، هو التأكيد المطلق على أنه مهما كانت مراحل الحرب، فإن هناك تأثيرات على مواسم اللؤلؤ، خاصة في الموسم القادم من شهر يونيو/حزيران من عام 1915م»[1].

لكنَّ إجراءات تثبيت الأسعار على المواد الغذائية، وتدخُّل الحكومة والبريطانيين في منع التلاعب بها، تواجه بمشكلات أدَّت إلى توقيع غرامات على عدد من التجار في البحرين.

(1) سجلات مكتب الهند؛ لندن R/15/2/67

ففي اليوم العاشر من شهر أكتوبر من عام 1914م يرسل حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي آل خليفة رسالة إلى الوكيل السياسي يقول فيها: «محبُّكم يشكر سعادتكم لإجرائكم الغرامة على بعض أهل الدكاكين الذين يبيعون بالزيادة على الأسعار المعينة في الإعلان»[1].

وبعد أيام قليلة تتوالى القرارات والإعلانات بخصوص الأسعار، ومنع تصدير بعض المواد الغذائية إلى خارج البحرين. فيظهر إعلان بتوقيع الحاكم يقول: «نعلن مكرَّرًا للعموم بخصوص الأشياء الممنوع خروجها، وهي: القهوة والسكر والدهن والكبريت، والمرخصة للخروج فقط هي: العيش والحنطة، والآن رخص للطحين والشعير، أما الأسعار فهي على حكمها السابق، والذي يخالف هذه الأوامر ويخرج الأشياء الممنوعة أو يحتكر المأكولات أو يبيع بالزيادة فسيجري عليه النكال الشديد»[2]، وبتوقيع حاكم ولاية البحرين.

وازدادت معاناة أهالي البحرين بارتفاع أسعار المواد الغذائية وعدم توافرها في الأسواق بالكميات السابقة نفسها، والتلاعب، وحلول شهر رمضان أيضًا.

وزادت الأزمة التموينية من تلاعب بعض التجار الأجانب في الأسعار، كما في التقرير السابق، وكذلك انتشار بعض السرقات من بعض الأجانب أيضًا، مما جعل قاضي البحرين الشهير آنذاك الشيخ قاسم المهزع يخاطب الحاكم الشيخ عيسى عنها ويطالبه باتخاذ إجراءات ضدها.

---

(1) سجلات مكتب الهند؛ لندن R/15/2/67

(2) سجلات مكتب الهند؛ لندن R/15/2/67

ويكتب الشيخ عيسى رسالة إلى الوكيل السياسي في اليوم السادس عشر من شهر سبتمبر/ أيلول من عام 1914م يقول فيها: «محبُّكم يرسل لسعادتكم كتاب الشيخ قاسم بن مهزع الذي رفع لمحبِّكم أمس، وكتب عن حدوث السرقات التي صدرت في نحو خمسة أيام، وكلها من أهل البصرة».

ويضيف: «ونحن نعرض على سعادتكم أحوال هؤلاء المفسدين الأشرار، الذين هم أكراد ونصارى، بأن ليس لهم شغل في البلد سوى السرقات والفتن والاختلاس، وبعضهم يتستّرون بأنهم حمّالون أو باعة، ولكنهم يشتركون في السرقة والفساد، وليس خافيًا على سعادتكم الحالة الحاليّة والعسر المالي على الناس، وسعادتكم أعلم بأحوال الناس الذين بعد الغوص ليس لديهم شغل»[1].

وفي نهاية الرسالة يطلب الحاكم من الوكيل السياسي اتخاذ إجراءات رادعة ضد مرتكبي السرقات من الأجانب، أو بإبعادهم أو سجنهم.

وكانت الرسالة توضح قلق حاكم البحرين على الأوضاع الصعبة التي تمر بها البلاد، ليس بسبب ارتفاع الأسعار ومشكلاتها وتأثيرها على حياة الأهالي فقط، بل أيضًا على الأوضاع الأمنية عامة من سرقات ونهب، ومن الأجانب تحديدًا، خاصة الذين جاؤوا عن طريق التهريب.

ويبين المبشر الأميركي «جيمس موير ديك» - عضو الإرسالية الأميركية والمقيم في البحرين آنذاك- تأثيرات الحرب العالمية

(1) سجلات مكتب الهند؛ لندن R/15/2/67

الأولى على البحرين في تقرير خاص نشرته مجلة الإرسالية الأميركية «الجزيرة المنسية» حيث يقول: «ومع بداية الحرب، اعتقل الإنجليز في البحرين تاجرًا ألمانيًّا، وتمَّ ترحيله إلى الهند بتهمة نشر أخبار كاذبة وسط العرب، إضافة إلى محاولات أخرى قام بها، مثل دفع بعض الأموال لحض العرب على معارضة السيطرة البريطانية.

وفي البحرين، يوجد عدد كبير من العرب المؤيدين لألمانيا، خصوصًا عندما اشتركت تركيا في الحرب. وعلى الرغم من أن سوق البحرين يكون في العادة، مملوءًا بالحركة والنشاط، إلَّا أنه ليس بالسوق الكبير، لكنه يمتاز عن غيره من الأسواق بكونه مركزًا للتوزيع على الموانئ الأخرى في منطقة الخليج.

وعندما كانت الأوضاع هادئة، كانت البضائع تحضر إلى البحرين من كل مكان، ولكن منذ بداية الحرب، هبطت حركة الاستيراد والتصدير إلى أكثر من خمسين في المائة، إلى جانب ذلك، تناقصت أعمال تجارية كثيرة في المنامة، وبسرعة غير متوقعة، وارتفعت أسعار مواد البناء، وانخفضت رواتب العمال من ثلاثة وثلاثين سنتًا إلى 20 سنتًا لليوم الواحد.

وعندما اندلعت الحرب، كان غواصو البحرين في البحر، وكان الطواشون قد بدؤوا لتوِّهم شراء اللؤلؤ. ومن دون سابق إنذار، انهارت اقتصاديات سوق اللؤلؤ، وتلاشى أيّ أمل في انتعاش السوق مرة أخرى، ومن المتوقع أن يعاني الغواصون كثيرًا من هذه الأوضاع.

وانعكست هذه الحالة الاقتصادية على الوضع التمويني، وشحَّ الغذاء. فقد عوقب رجل بشدة سرق كيس أرز من أحد التجار، وكان

الرجل يريد أن يطعم عائلته الجائعة إزاء هذه الأوضاع. وغادر البحرين الكثير من الفرس والأكراد إلى مناطق أخرى»[1].

ولم تكن الأوضاع الاقتصادية الصعبة والمواد الغذائية وأسعارها وشحّها هي المشكلات الوحيدة التي أصابت البحرين من دخان مدافع الحرب العالمية الأولى وأحداثها في أوروبا، بل إنها في الواقع كانت إحدى المصائب فقط. فمع إعلانات أسعار المواد التموينية ومشكلاتها، راجت في البحرين شائعات كثيرة حول الدول المتحاربة وتأثيرها وتضرُّر الخدمات.

وتشير رسالة هامة بتاريخ الخامس من شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام 1914م من الوكيل السياسي البريطاني في البحرين إلى حاكم البحرين الشيخ عيسى بن علي حول تلك الشائعات التي راجت كثيرًا في البحرين، وأكثرها كان كالعادة ضد البريطانيين.

يقول الوكيل السياسي البريطاني للشيخ عيسى: «لقد وصلني تقرير يقول إن هناك إشاعات حمقاء متعددة انتشرت في السوق، وفي العادة فإنني لا أبدي أي اهتمام للإشاعات حتى تظهر الحقيقة في النهاية، ولكن الناس متضايقون من هذه الإشاعات. ولذلك أرى أنه من الأفضل أن تصدر الإعلان التالي: «إن الوكيل السياسي يودّ أن يعلم الجميع أن الإشاعات المتعلقة بغزو السفن الألمانية للهند ليست صحيحة. إن هناك سفينة حربية ألمانية صغيرة هربت من الصين وأغرقت ثماني سفن تجارية إنجليزية صغيرة بعد أن أصبح ملاحوها سجناء عندهم، وكانت السفينة الحربية الإنجليزية غائبة عن حراسة

(1) **الحرب العالمية الأولى في البحرين، صدمة الاحتكاك**؛ خالد البسام؛ دار الساقي 1998م.

طرق السفن الذاهبة إلى فرنسا، ويأمل في الفترة القادمة الإمساك بالبارجة الألمانية.

ومنذ بداية الحرب فإن ثلاثمائة وثمانين سفينة ألمانية، بعضها كبيرة جدًّا، تمَّ الحجز عليها، وستًّا وسبعين سفينة كانت موجودة منذ إعلان الحرب في الموانئ الألمانية محتجزة إلى الآن، إضافة إلى اثنتي عشرة سفينة حجز عليها من البحر.

وإن السبب الذي لا يجعل البريد منتظمًا في البحرين يرجع إلى أن هناك حوالي مائة باخرة بريطانية هندية أجّرت بواسطة الحكومة لنقل قوات إلى فرنسا. هذا هو ما يمكن قوله، ويمكنك حفظه وسلام»[1].

وبتوقيع الوكيل السياسي، البحرين

البحرين في بداية القرن العشرين

(1) سجلات مكتب الهند ؛ لندن R/15/2/67

ومع اقتراب نهاية العام الأول من الحرب العالمية الأولى (1914م) بتأثيراته ومشكلاته في البحرين، تقوم الوكالة السياسية البريطانية بإجراء جرد سنوي كعادتها حول الأوضاع في البحرين.

فتسجل الوكالة السياسية البريطانية في تقريرها عن البحرين عام 1914م أن أعداد المرضى في مستشفى فكتوريا التذكاري الذين تمّت معالجتهم خارج المستشفى حوالي 4640 مريضًا، إضافة إلى تسعة وأربعين مريضًا تمَّ علاجهم داخل المستشفى. فيصبح المجموع 4689 مريضًا. وقال التقرير إن عمل المستشفى كان جيدًا طوال العام، وكانت علاقتهم بالناس جيدة، بالرغم من بداية الحرب مع تركيا.

وبالنسبة للقضاء يقول التقرير: إن الشيخ قاسم المهزع، قاضي السُّنَّة، أصدر أحكامًا على عدد كبير من القضايا بناء على طلب الوكالة السياسية، «وقد كانت أحكامه عادلة وسريعة».

وبالنسبة لحركة الأجانب وزياراتهم للبحرين جاء في التقرير: «اثنان من الفرنسيين جاءا إلى البحرين مع بداية موسم الغوص لكنهما عادا إلى بومبي عند اندلاع الحرب»[1].

ويكتب المبشر الأميركي «جيمس موير ديك» تقريرًا تنشره مجلة الإرسالية الأميركية (الجزيرة المنسية) يتحدث عن تأثيرات الحرب المختلفة في البحرين وعلى البحرينيين، يقول في بعضه: «عندما بدأت أخبار الحرب في أوروبا تصل إلى البحرين، راح الناس ـ أول الأمر ـ يتعاملون معها بفضول، ثم بشوق فيما بعد. وكان الجميع

(1) تقرير الوكالة البريطانية لعام 1914م.

يريدون معرفة ما يحدث هنا، وما هي الفرق المتحاربة. وأصبحت الصحف ـ فجأة ـ مطلوبة بقوة. ففي غرفة المطالعة في مكتبة الإرسالية في المنامة، جاء رواد جدد كثيرون، وراحوا يقرؤون بتمعُّن جميع الصحف والمجلات المتوافرة. وعلاوة على هؤلاء، حضر أناس كثيرون لشراء كتب جغرافيا وأطالس من جميع الأنواع، حتى نفد المخزون لدينا في مكتبة الإرسالية.

وفي كثير من الأحيان، كان يأتي بعض الرجال الذين لا يستطيعون القراءة برفقة أصدقائهم الذين يعرفون القراءة، لكي يخبروهم بما يحدث، لكي يقوم هؤلاء بإخبار هذه المعلومات للناس. وكانوا يضيفون عليها ـ طبعًا ـ ملاحظاتهم وتعليقاتهم. وقبل أيام قليلة من دخول تركيا الحرب، قامت بريطانيا بحمل قوات حربية من الهند إلى هنا. كما وصلت سفن حربية قليلة إلى الميناء، وقد خلق ذلك توترًا، تلته أحاديث كثيرة بين الناس عن الحرب. ولم تنزل هذه القوات مطلقًا في البحرين. فبعد أيام أرسلت إلى الفاو والبصرة في العراق. ولذلك، فإن الشعور بالخوف من وجود الجنود الذي أثار الأهالي، سرعان ما اختفى برحيلهم».

ويتحدث «مويرديك» عن تأثير الحرب على الإرسالية الأميركية نفسها فيقول: «وأثرت هذه الأوضاع في عمل الإرسالية الأميركية في البحرين، فعندما يذهب مبشر إلى السوق، أو في جولة في القرى للتبشير، يبدي الناس تجاهلًا، لكنهم يلحون عليه في التساؤل: متى ستوقف الدول العظمى هذه الحرب؟ وقد اشتكى أعضاء الإرسالية أيضًا من كساد بيع الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى، حتى ولو كانت أسعارها زهيدة جدًّا، السبب ـ كما يقولون ـ أنهم يحتاجون إلى النقود لشراء الطعام. وحتى قراءة الكتب الدينية أصبحت مرفوضة

تمامًا، ولسان حال البحرينيين يقول لنا: لا يوجد لدينا وقت لإزعاج أنفسنا بهذه الكتب»[1].

وعلى عكس الأوضاع الاقتصادية ومعاناة الأهالي مع التموين والأسعار الغذائية المرتفعة، اختار البحرينيون موقفهم السياسي في الحرب مع الأتراك المسلمين وضد الإنجليز الذين يستعمرون بلادهم.

فلم يتأخر البحرينيون بجميع فئاتهم من مثقفين ورجال دين وتجار من الوقوف في خندق الأتراك الذين يشاركونهم الدين والعقيدة ويقاسمونهم الهموم والتطلعات ضد الإنجليز المستعمرين وحلفائهم. وبسرعة ظهر هذا الموقف بشكل واضح أقلق السلطات البريطانية في البحرين.

ففي تقرير إدارة وكالة البحرين السياسية للعام الأول للحرب العالمية (1914م) كتبت تحت عنوان (موقف البحرين خلال الحرب): «إن موقف الشيخ عيسى وعائلته موالٍ تمامًا معنا. لكن عامة الناس وأيضًا عدد من التجار موقفهم مقلق جدًّا. قد ظهرت معاداة كبيرة للدول التي تحارب ضد تركيا، وظهر شعور ديني واضح مع الأتراك»[2].

وفي نفس التقرير تتحدث عن قاضي البحرين الشهير، قاسم المهزع، فتقول عنه: «إن موقفه خلال الحرب كان مع تركيا»[3].

---

(1) **الحرب العالمية الأولى في البحرين، صدمة الاحتكاك**؛ خالد البسام؛ دار الساقي 1998م.

(2) تقرير الوكالة البريطانية لعام 1914م.

(3) تقرير الوكالة البريطانية لعام 1914م.

وأكثر من ذلك يقود مثقفو البحرين، ومعهم تجار ومثقفون نجديون مقيمون في البحرين، حملات كبيرة للتبرع لصالح الأتراك تثمر عن جمع مبالغ نقدية كبيرة.

ويشير تقرير بريطاني إلى أن حملات تبرعات قادها تاجران نجديان في البحرين حققت نجاحات كبيرة. فقد قاد التاجر والمثقف النجدي المعروف، مقبل عبدالرحمن الذكير، حملة تبرعات في مدينة المحرق، بينما قاد التاجر النجدي الآخر، سليمان الحمد البسام، حملة تبرعات في مدينة الحد، أسفرت الحملتان عن جمع مبالغ كبيرة للأتراك، وقد تمَّ إرسالها بواسطة الذكير.

ولم تشفع للبريطانيين حملاتهم ضد المهربين، ونشاطهم في تحديد أسعار المواد الغذائية ومراقبة الأسواق، من تغيير موقف البحرينيين تجاههم في الحرب، بل استمر أهالي البحرين في تأييد الأتراك رغم كل شيء.

وتستمر الأوضاع السيئة على الصعيد الاقتصادي في البحرين بسبب تأثيرات الحرب العالمية الأولى. وتتواصل الإعلانات الحكومية حول التموين والأسعار في السنوات 1915 و1916 و1917م على التوالي.

وتهتم الوكالة السياسية البريطانية في تقرير لها عن عام 1916م في البحرين بأوضاع أسواق اللؤلؤ، وتكتب عن ذلك قائلة: «صيد موسم اللؤلؤ لهذا العام كان جيِّدًا في نوعيته وكميته، كما أن الأسعار ارتفعت بنسبة خمسين بالمائة عن العام الماضي»[1].

(1) تقرير الوكالة البريطانية لعام 1914م.

وفي تقرير آخر لوكالة البحرين السياسية البريطانية لعام 1918م تظهر تردّي الأوضاع الصحية في البحرين التي لها ارتباط مؤكد مع الأوضاع الاقتصادية. فتظهر الأرقام ارتفاع أعداد المرضى الذين تمّ علاجهم داخل وخارج مستشفى فكتوريا بالمنامة، وهو المستشفى الوحيد بالبحرين.

فمن مجموع 4689 مريضًا تمَّ علاجهم في المستشفى في عام 1914م، أي السنة الأولى للحرب، ارتفع الرقم إلى 5714 مريضًا في عام 1915م، ثم إلى 5091 مريضًا عام 1916م، ويرتفع إلى 6096 مريضًا عام 1917م ليهبط إلى 5900 مريضًا عام 1918م.

ويذكر التقرير اندلاع وباء الحمى والإنفلونزا في البحرين، واستمرار الوباءين ستة أسابيع، ووفاة العشرات بسبب الإنفلونزا[1].

وتدل تلك الأرقام بخصوص زيادة عدد المرضى والأوبئة إلى تردّي الأوضاع الصحية بسبب قلة الخدمات الصحية التي تأثرت بالحرب، وشح المواد الطبية والعلاجية في البلاد بسبب انقطاع وصول الكثير منها إلى البحرين بسبب الحرب أيضًا.

وحتى السنة الأخيرة (1918م) في الحرب العالمية، فإن البحرين لم تسلم من الصعوبات الاقتصادية، كما يشير إليها تقرير الوكالة السياسية البريطانية عن أوضاع البحرين في تلك السنة، حيث يقول عن وضع الجمارك: «في يوليو/ تموز أبلغ التجار في البحرين أن تصدير المواد الغذائية من الهند إلى موانئ الخليج قد مُنِع، إلَّا في حالة الاستهلاك المحلي في كل ميناء. لقد كان تأثير هذا المنع

(1) تقرير الوكالة البريطانية لعام 1914م.

هو توقف بسيط. فالأسعار ترتفع من يوم إلى يوم بسبب صعوبة توفير المواد للجزيرة التي تأخذ واحدًا من ثلاثة بالنسبة للاستيراد»[1].

أما بالنسبة لسوق اللؤلؤ فيشير نفس التقرير: «لقد كان موسم صيد اللؤلؤ لهذا العام أقل من عامي 1916م و1917م، وذلك بسبب رداءة الطقس»!

حتى الطقس أضاف مشكلة أخرى على البحرين أثناء الحرب العالمية الأولى، غير أنه بالتأكيد كان آخر المشكلات ونهاية المصائب.

ففي الخامسة من صباح يوم الحادي عشر من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1918م وقّعت ألمانيا على استسلامها، وأعلن انتهاء الحرب العالمية الأولى رسميًا.

كان ذلك الصباح في مدن البحرين باردًا، غير أن أخبار نهاية الحرب أدفأت روّاد المقاهي في المنامة والمحرق، الذين راحوا يتداولون أخبار تلك النهاية التي طالما انتظروها بفارغ الصبر.

(1) تقرير الوكالة البريطانية؛ لعام 1914م.

عمل
ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

نائب ملك بريطانيا يزور البحرين عام 1903م

عناد يعكّر بهجة مدافع التحية!

لم يسجل قبطان السفينة البريطانية (هاردينيج)، التي كانت تُقِلُّ اللورد «كرزون» نائب الملك البريطاني والحاكم العام في الهند وإمارات الخليج، أي تأخير يذكر عن موعد وصوله إلى جزر البحرين في نهاية شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1903م.

فعندما وصل أسطول السفينة الكبيرة (هاردينيج) والسفن الصغيرة الأخرى إلى مشارف البحرين في الساعة الثامنة من صباح بارد من اليوم السادس والعشرين من شهر نوفمبر، كانت البلاد شبه مستيقظة بعد يوم ساهر قضته في مجالس عامرة فتحت أبوابها في الليل بمناسبة بداية شهر رمضان المبارك.

كان صباح وصول اللورد «كرزون» إلى البحرين هو السابع من رمضان، ولم يكن هذا اليوم يعني شيئًا كثيرًا بالنسبة للّورد الذي يريد الاستمرار في زيارته الرسمية إلى بلدان الخليج العربية الواقعة جميعها تحت حماية الإمبراطورية البريطانية آنذاك. فقد بدأ اللورد زيارة مثيرة وشهيرة بأنها أول وأهم رحلة لأكبر سياسي بريطاني في المنطقة.

وبدأت رحلة اللورد المثيرة إلى الخليج من كراتشي في اليوم السادس عشر من شهر نوفمبر بعد عزف النشيد الوطني واستعراض

الحرس والجنود وإطلاق إحدى وثلاثين طلقة مدفعية تحية للورد ولرحلته «المظفرة»!

وطول الرحلة من كراتشي إلى الخليج، كما روى الباحث البريطاني الشهير «ج. جي. لوريمر» في كتابه «دليل الخليج» تفاصيل الرحلة، كان البحر لطيفًا، وكان وضع السفن المتجاور يثير الإعجاب وخاصة أضواء الأسطول خلال ساعات الليل، حيث كانت ترى من ظهر السفينة (هاردينيج) وكأنها أضواء مهرجان ثابت، في حين كانت الأعلام فوق الصواري تبدو كزينة خلال ساعات النهار.

لكن «هدوء البحر» يبدو أن بانتظاره ما يشبه «عواصف اليابسة». فبعد نهاية جولات اللورد «كرزون» وأسطوله في مسقط والشارقة وبندر عباس وهرمز ولنجة واجتماعاته بحكام تلك المناطق وتزويدهم بالنصائح، والتهديدات أحيانًا، رست الرحلة في مرفأ البحرين.

ويروي المؤرخ البريطاني «لوريمر»: مضت ساعتان أخريان قبل أن تستطيع السفينة (هاردينيج) ومعها السفن (بومون) و(سفينكس) و(لورنس) أن تشق طريقها إلى المرسى الداخلي، بينما كانت مدافع الشواطئ تحيِّيها بإحدى وثلاثين طلقة. وبعد أن ألقت السفينة (هاردينيج) مراسيها صعد إلى ظهرها الشيخ حمد، وليّ عهد المشيخة في البحرين، ووزير شيخها ليستفسرا عن صحة نائب الملك وليسألاه عن الوقت الذي يناسبه استقبال الشيخ فيه.

وفي ظهر اليوم نفسه زار الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حاكم البحرين آنذاك، اللورد كرزون الذي لم يزل قاعدًا في سفينته الضخمة.

ويصف وقائع الزيارة المؤرخ «لوريمر» قائلًا: وصل الشيخ

عيسى بنفسه إلى ظهر السفينة (هاردينيج) في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، بصحبة السيد «جاسكين» مساعد المعتمد السياسي في البحرين، ومعه ثلاثة من أبنائه وأكبر أحفاده ووزيره، واستعرض الحرس على ظهر القطعة البحرية (بومون)، وقد استقبل نائب الملك الشيخ واقفًا وأشار له على مقعد على يمينه، وجلس على يسار الشيخ المقيم السياسي، ثم مساعد المعتمد السياسي في البحرين، ثم مرافقو الشيخ. وجلس على يسار نائب الملك الوزير البريطاني في طهران، ثم وزير الخارجية ثم المرافقون، ولم يلبس أي منهم لباسًا رسميًّا في هذه المناسبة، وقد دار حديث قصير أشار الشيخ فيه إلى الرفاهية التي تنعم بها إمارته، مرجعًا ذلك إلى الحماية البريطانية، وشكر نائب الملك على تحمله مشاقّ هذه الرحلة الطويلة ليبرز فيها اهتمامه بالبحرين، كما شكره أيضًا على الاعتراف الرسمي بابنه حمد كخليفة له، وعبر عن تقديره لشخصية السير «ل. بلي» الذي لعب دورًا مهمًّا في شؤون البحرين منذ أربعين سنة تقريبًا. وبعد الحديث قُدّم أبناء الشيخ والرسميون الآخرون إلى نائب الملك، وتسلموا مع الشيخ جميعًا هدايا قيمة، ثم انتهت المقابلة وغادر الشيخ عيسى السفينة (هاردينيج) وأُطلقت خمس قذائف تحية له.

وبعد الظهر «تكرّم» اللورد كرزون أخيرًا ونزل من سفينته الاستعراضية، وقام بجولة في مدينة المنامة، وقام الشيخ عيسى بن علي آل خليفة باستقباله على الرصيف وتوصيله إلى المعتمدية البريطانية.

وبعد غروب الشمس قدمت لهم القهوة في المعتمدية، وكان الحضور طبقًا للعادات العربية ينثرون ماء الورد على أيدي ضيوفهم، ويعطرون لهم لحاهم ووجوههم بدخان البخور المحترق،

ثم عاد ركب نائب الملك إلى ظهر السفينة، وكانت الترتيبات التي اتخذت لنزول نائب الملك من السفينة إلى الأرض مع مرافقيه ثم عودتهم إلى ظهر السفينة غير كافية، وكان المدّ منخفضًا، فاستغرق النزول ساعة ونصف الساعة، واستغرقت العودة إلى السفينة ساعتين. وبعد أن رافق الشيخ اللورد «كرزون» حتى الميناء الذي ركب منه عائدًا إلى سفينته ارتكب خطأ فيه كثير من عدم اللياقة. إذ غادر الشيخ هذا المكان قبل أن يغادره جميع مرافقي نائب الملك بسلام، وقد اعتذر بالتالي عن هذا التقصير عن طريق العميد «كيمبول». ومما يجدر ذكره أن مغادرة المكان كان عند مغيب الشمس في يوم من أيام شهر رمضان، حيث يكون العرب في شوق للإفطار بعد صيام يوم طويل.

وكان من الواضح أن «اللورد كرزون» لم يكن يريد فهم وضع المسلمين في شهر رمضان المبارك، وغير مهتمّ بالطبع بجوعهم وعطشهم وطقوس هذا الشهر الفضيل. كان كل ما يهمه هو تقديم الولاء الكامل له ولحاشيته والقيام بجميع البروتوكولات على خير وجه وعدم ارتكاب أية «حماقة»، وإن حدث فلا مانع عنده من قبول اعتذار، وهذا ما حدث بالضبط بالنسبة للشيخ عيسى.

وعند رجوعه إلى سفينة (هاردينيج) كانت بانتظاره رسالة شكوى طويلة من التجار الهندوس المقيمين في المنامة يشكون من أحوالهم ويقدمون للدولة البريطانية البهيّة بضعة اقتراحات.

وقالت رسالة التجار الهندوس: «نرجو أن يسرّ فخامتكم أنه يشرفنا نحن الموقعين أدناه التجار الهنود المقيمين في البحرين أن ننتهز مناسبة زيارة اللورد إلى لؤلؤة جزر الخليج لنقدم إليكم باسم جاليتنا، ترحيبنا القلبي، راجين أن تكونوا قد قضيتم رحلة ممتعة في

طريقكم إلى الخليج، وأن تكون إقامتكم القصيرة هنا مرضية لفخامتكم، ونتمنى أن تكون رحلة العودة مصحوبة بالسلامة والراحة. ونعتبر أنفسنا قد حظينا بشكل خاص والخليج بشكل عام بهذا الفخر، إذ لم نتشرف من قبل بزيارة من نائب الملك في الهند، ولما كنا نعلم أن لفخامتكم اهتمامًا دقيقًا بالمسائل التي تؤثر على الخليج والشرق عمومًا، فإننا نرجو بإخلاص أن تكون هذه الزيارة بشير سعادة وغبطة وسلام في الخليج. كما نرجو أيضًا أن نعبِّر عن اعترافنا بالجميل للبركات المتعددة التي حصلنا عليها من الحاكم البريطاني العادل والرحيم، ونرجو أن يكون قد بلغ علم فخامتكم، أيها اللورد، أننا قد حللنا في الخليج منذ مائتي سنة مضت، حيث لم يكن باستطاعة السفن البخارية أن تزور الخليج، وكانت كل الأعمال تسير بالقوارب الشراعية في ظروف شاقة غير مجدية، إلَّا أن الوقت تغير الآن إذ جلبت الحماية البريطانية بركاتها المعتادة ـ الأمن والسلام والرفاهية ـ التي انعكست عليها الثقة العظيمة بالعمران والحضارة التي جلبتها بريطانيا إلى الخليج.

إننا لا نرغب في الاعتداء بغير لياقة على وقت فخامتكم الثمين، إلا أننا نسمح لأنفسنا أن تجسر بكل تواضع على طرح مسألة أو مسألتين لهما أهمية حيوية، واعتبار هام لتجارة البحرين. إن هذا الميناء بموقعه الطبيعي يعتبر محطة عظيمة الأهمية للتجارة، كما أنه المركز التجاري لأسواق الأحساء والعقير والقطيف وقطر وما يليها من بلاد، ولزيادة سرعة النقل التجاري فإن إقامة رصيف دخل البحر لهذا الميناء يعتبر أمرًا في غاية الضرورة، حتى تتمكن الصنادل البحرية من العمل في سائر الأوقات وفوق أي مدّ أو جزر، مما يزيد سرعة تفريغ السفن التجارية. ولذا نرجو بكل احترام أن ينال هذا الطلب لطف عنايتكم».

وتكمل رسالة التجار الهندوس في البحرين فتقول: «ومنذ أن تمتعت البحرين بطمأنينة فوق العادة وبمنافع تجارية عظيمة، جاء كل من التجار العرب والإيرانيين وسكنوا هنا، ولهذا نشأت منافسة حادة تحتم علينا الآن أن نبحث لنا عن مجالات أخرى. وإننا متشوقون للمساهمة في تجارة قطر والقطيف الناميتين، ونرجو من فخامتكم أن تعينوا موظفين في هذين المكانين حيث لا يوجد فيهما ممثلون لحكومتنا، وفي حالة ما إذا كان هذا الاقتراح غير عملي، نرجو توسيع سلطة المعتمدية السياسية في البحرين حتى تشملهما».

وفي بداية اليوم التالي لزيارة اللورد كرزون للبحرين، أي في صباح يوم السابع والعشرين من شهر نوفمبر/تشرين الثاني، اليوم الثامن من شهر رمضان، زار الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حاكم البحرين آنذاك، نائب الملك زيارة خاصة على ظهر السفينة (هارديننيج) وروى المؤرخ «لوريمر» تفاصيل ذلك اللقاء قائلًا: وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم السابع والعشرين من شهر نوفمبر زار الشيخ عيسى نائبَ الملك زيارة خاصة على ظهر السفينة (هارديننيج)، وكان يصحبه في هذه الزيارة أكبر أبنائه وخليفته المعترف به، والسيد «دان» وزير الخارجية والعقيد «كيمبول» المقيم السياسي، وقام بدور المترجم السيد «جاسكين» مساعد المعتمد السياسي في البحرين، وبعد أن أوضح الشيخ أنه لا مطالب لديه يودّ تقديمها، وأشار صاحب الفخامة إلى حادث اغتيال سلمان بن دعيج قريب الشيخ في شبه جزيرة العرب، ونصح الشيخ أن ينتظر نتيجة المفاوضات التي كانت معلقة مع الباب العالي خلال هذه الفترة. وأضاف قائلًا: إنه في حال فشلها سوف ينظر في ما إذا كان من المناسب اتخاذ خطوات أخرى، ثم استفسر من الشيخ عن شكل التعويض الذي يمكن للشيخ قبوله بهذا الصدد، ثم انتقل

نائب الملك إلى موضوع آخر وهو سوء إدارة الجمارك في البحرين، وأكد على الشيخ بشدة وضرورة وفائدة إصلاحها، ليس مراعاة لمصلحته فقط، ولكن أيضًا رعاية لمصالح الحكومة البريطانية التي تقوم بحمايته، وكذلك لمصلحة ابنه الذي اعترفت السلطات البريطانية بلقبه كخليفة له، وقد أبدى الشيخ عنادًا شديدًا في هذا الموضوع، وطلب أن يصرف النظر عن هذا الموضوع طوال مدة حياته، إلَّا أن ذلك لم يكن مقبولًا. وعقب ذلك قال الشيخ إنه سيبحث الموضوع مع أبنائه وأخيه، واعترف صاحب الفخامة أن هذا الأسلوب مناسب تمامًا، إلَّا أنه حذَّر الشيخ في نفس الوقت من أن الموضوع يجب ألَّا يُهمل، ويجب عليه أن يقدم في أقرب وقت اقتراحات محددة للتغيير المرغوب فيه، وانصرف الشيخ بعد أن استمرت المقابلة أكثر من نصف ساعة.

وقبل أن تبحر السفينة (هاردينيج) من مياه المنامة متجهة إلى الكويت، كانت نتائج الزيارة التي أثبتت ـ كما يقول المؤرخ لوريمر ـ على قوة بريطانيا ونفوذها بعد وقت قصير من التغلب على حدة المنافسة الأجنبية في الخليج، وجاءت لرؤية النفوذ البريطاني السياسي والتجاري في المنطقة على الطبيعة. كانت تلك النتائج يعكرها تقرير واحد عكر صفو هدوء البحر والاستقبال الجميل للُورد وعشرات المدافع التي أطلقت لتحيته في كل مكان، كان التقرير هو عن رحلة البحرين التي قال عنها لوريمر بصراحة: إن نتائج الرحلة بالنسبة للساحل الغربي من الخليج يمكن القول عنها إنها موفقة على أية حال وناجحة تمامًا بالنسبة لمسقط وعمان المتصالح والكويت، حيث زادت في قوة الروابط السياسية لهذه الإمارات ببريطانيا. أما بالنسبة للبحرين وحدها فإن الرحلة لم تؤدِّ إلى شيء من شأنه التأثير الواضح على سلوك شيخها المتميز بالمشاكسة والعناد، لكن بريطانيا

لم تترك مجالًا للشك في عزمها على إقصاء كل نفوذ غير نفوذها في تلك الجزر الاستراتيجية الهامة!

ولم يكن اللورد «كرزون» وموظفوه وجنوده وأسطوله البحري وهم يدورون سواحل البحرين الهادئة يعلمون أن ذلك «العناد» الذي تحدثوا عنه مع البريطانيين سيتواصل سنوات طويلة!

اللورد كرزون

باحث عراقي يزور البحرين
نهاية 1912م

عالي . . . أعظم مقبرة في العالم

عجل الغموض والإثارة اللذان امتلأ بهما عقل الباحث العراقي «رزوق عيسى»، حول قبور عالي الأثرية الضخمة في البحرين، بالمغامرة والسفر إلى جزر البحرين ومشاهدتها بنفسه.

وبعد اجتياز رزوق الكثير من الصعوبات وتحمل المشقة وصل إلى البحرين سائحًا في بداية نوفمبر/ تشرين الثاني عام 1912م. والواقع أن الباحث لم يذكر لنا أي شيء عن إقامته بالبحرين سوى بعض مشاهداته لبعض المدن والقرى أثناء عبوره لها في طريقه إلى مقابر عالي.

وكان من الواضح أن «رزوق» حاول أن يحلَّ لغز القبور، ويدرس تاريخها ويقدم تفسيرًا مبكرًا آنذاك لوجودها ودلالتها.

وبعد زيارة قصيرة ودراسة متعمقة لقبور عالي التاريخية وأعظم مقبرة في العالم، غادر الباحث العراقي البحرين ونشر بعد شهر تقريبًا دراسة للقبور في مجلة «لغة العرب» الشهرية، التي كان يصدرها من بغداد العلامة الشهير «الأب أنستاس ماري الكرملي» في عدد يناير/كانون الثاني 1913م بعنوان «قبور غريبة قديمة في البحرين سابقة لعهد التاريخ».

يقول الباحث العراقي، رزوق عيسى، في بحثه حول قبور عالي التاريخية: الذي أريد أن أوجه إليه أنظار قراء لغة العرب هو المدافن قديمة العهد في البحرين، فقد عزمت على أن أدوّن ما صرح ومحض من تاريخها خدمة للناطقين بالضاد، لخفاء أمرها على الكثيرين منهم وطموس أخبارها حتى عن أغلب الرواد والمستشرقين، معتمدًا في ذلك على الثقات من السياح والمؤرخين.

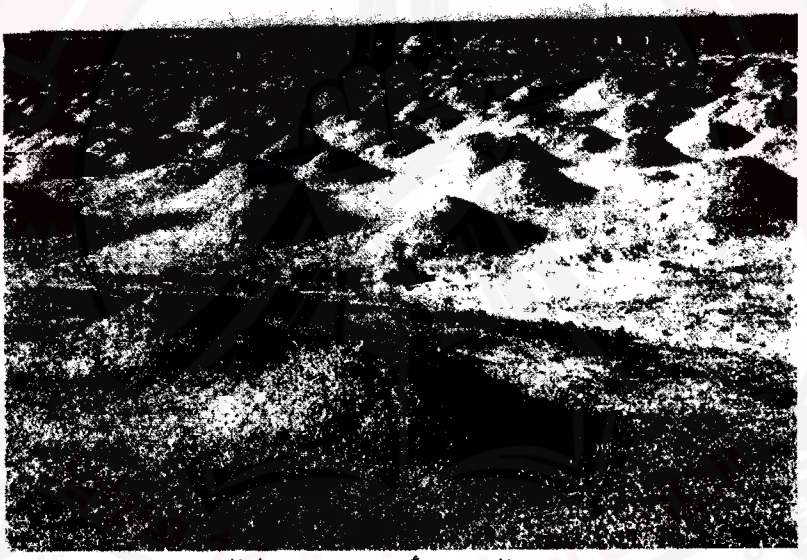

مقبرة عالي... أكبر مقبرة في العالم

بعد أن يلقي السائح عصا ترحاله في البحرين يقصد المقابر المهجورة في وسط الجزيرة التي تبعد نحو سبعة أميال عن «المنامة» إذا أراد الوقوف على سابق حضارة تلك الديار، وأول ما يصادف

في طريقه أرضًا جرداء رملية لا يوجد فيها من الآثار المهمة سوى قلعة عظيمة الشأن مربعة وفي خارج أسوارها مدفع، لا بل مدفعان قديما العهد مهملا الاستعمال قد علاهما الصدأ والغبار، وفي كل ركن من أركان المعقل برج هائل، هو عبارة عن صرح كان حاكم البلدة (أي شيخها) يصطاف فيه، وداخل أسوارها الشاهقة لا يوجد إلّا غرفتان أو ثلاث صالحه للسكنى والإقامة. أما بقية الغرف فيأوي إليها أعوان الشيخ وخدمه الذين كانوا يدافعون دفاع الأبطال عن رفقائهم إذا مست الحاجة إلى ذلك.

ثم لا يزال يسير وهو لا يلوي على شيء حتى يهبط موطنًا، ظل نخله ظليل، فيه مجارٍ وأقنية للسقي والماء يتدفق فيها كأنه الكوثر أو السلسبيل، وأطيارها شجية الغناء تنسيه الوعثاء وتفرج عن قلبه كل همّ وعناء وتريحه بعض الراحة من مصاعب الطريق ووعورة مسالك «المنامة» حتى أنه لا يتمالك من الطرق والسرور والانشراح والحبور فينشد قائلًا:

«وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوَّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإٍ زلالًا ألذّ من المدامة للنديم
يصدّ الشمس أنّى واجهتنا فيحجبها ويأذنُ للنَّسيم».

ثم إن الطريق يتعرج به ذات اليمين وذات الشمال ودليله جادة مغروسة أشجارًا تصعد به تارة إلى أعالي التلال وإلى ركام جوامع، وطورًا تهبط به إلى الحضيض، ولا يزال كذلك في صعود وهبوط حتى يفضي به المسير إلى بقعة واسعة الأكناف فسيحة الأرجاء، يشاهد فيها ردم «البلد القديم» وهي مدينة كانت في العصور السالفة

عاصمة البحرين، أما الآن فقد أصبحت مكانًا، ينعب فيها البوم والغربان ولا يقطن أخربتها المبعثرة سوى بعض أجلاف السكان البائسين الذين يفترشون الغبراء ويلتحفون الزرقاء. وأما منارتا جامعها المتهدم فحدث عنهما ولا حرج، فإنهما لا تزالان قائمتين تناطحان عنان السماء عزًّا وجبروتًا.

إن نفس المثال يدلك على فخامة هندسة البناء في الجزيرة هو معلم لتحية النوتية وقد بناه العرب في الزمان الغابر قبل أن تمخر عباب الخليج أساطيل ترستان داكنها، والبوكرك القائدين الشهيرين والفاتحين العظيمين.

ثم يلج السائح بعد تلك المناظر غابة فيتعرقل سيره فيمشي الهوينى مضطرًّا وذلك نحو ميل أو ميلين لكثرة ما هنالك من النخل المشتابك بعضه ببعض ثم ينتهي به الأمر إلى صحراء واسعة، فيأخذ العجب منه كل مأخذ، إذ يجد في وسط جزيرة صغيرة كالبحرين بادية كإحدى بوادي النوبة الجرداء، مقفرة لا يرى فيها مهما توغل في داخلها سوى رمال محرقة وأراضٍ بائرة وعلى بُعد منها «جبل الدخان» وعلوُّه أربعمائة قدم وهو ذو مقام رفيع ومنزلة سامية عند أهل الجزيرة حتى أنهم يفضلونه على كثير من جبال سائر الأقطار. فإذا استمر المسافر سائرًا نحو الغرب يلاقي غابة نخل تحجب في بداءة الأمر قرية «علي» عن أنظاره ولكن عندما يدنو كثيرًا من تلك القرية ينفتح أمامه مشهد غريب لم ير أغرب منه قط في حياته وذلك المشهد هو: في البحرين مدفن مهجور واسع الأكناف واقع في وسط فلاة فيها مئات بل ألوف من القبور المتلاصقة البناء تشبه تلالًا واطئة أو جبالًا منخفضة غير متقنة البناء والهندسة. وهناك لا يرى السائح إنسيًّا ولا وحشيًّا حتى ولا نباتًا أو أثرًا من آثار الأبنية المندرسة سوى تلك القبور عظيمة الشأن

وهي تمتد أميالًا تدل على أن المدفونين فيها كانوا من جبابرة الزمان وأسرارهم غامضة عنا ولا يعرف عنهم إلَّا النزر القليل الذي لا يحفل به. وبعض تلك القبور ترتفع زهاء خمسين قدمًا وغيرها ثلاثين وأخرى عشرين وهلمَّ جرًّا، وبعضها لا يختلف عن البعض الآخر إلَّا اختلافًا طفيفًا جدًّا في العالم على الإطلاق ولا يبعد أن تكون أقدمها عهدًا وهي مع عظمتها لم يكتب عنها إلَّا بعض أفراد قلائل يعدُّون على الأصابع وهؤلاء الكتّاب لم يكتبوا عنها مقالات ضافية الذيل، بل عبارات مستطردة لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا وقد جاءت في بعض كتب وصف البلدان أو في تقرير أو تقريرين من بعض سجلات الجمعيات العلمية التي همها الوحيد بثّ الرواد للوقوف على مجاهل البلاد.

إن المرحوم «ثيدور بنت» مع سعة اطلاعه لم يكتب عنها إلَّا فصلًا واحدًا في كتاب له، بل اللورد كرزون نفسه المشهود له بدقة البحث وبعد النظر وعلوّ الهمة والصبر على المتاعب والمشقات لم يدون عنها في كتابه شيئًا يستحق الذكر سوى قوله يوجد عدد وافر من القبور في البحرين. ويظهر لنا إما أنه لم يتح له الحظ زيارتها والوقوف عليها بذاته ليميط الحجاب عن بعض غوامض أسرارها أو أنه لم يعرف حقيقة أمرها ورفعة شأنها في عالم الآثار النفيسة.

إن السائح الباحث إذا وطئت أقدامه تلك الربوع يقف حائرًا مبهوتًا سائلًا ذاته: من هم ترى أصحاب هذه المدافن؟ ومن أيِّ شعب أو قبيلة أو لسان كانوا؟ وما هي درجتهم في عالم المدنية والعمران؟ وبأيِّ دين كانوا يدينون؟ وما هي جلّ معتقداتهم؟ وما هي شعائرهم ورسوم معبوداتهم؟ وما هي صفة حكومتهم أجمهورية كانت أم ملكية أم استبدادية؟ وما القصد من تشييدهم قبورًا هذا عددها في برية لا أنيس فيها ولا جليس؟ إلى غير ذلك من

المسائل العديدة التي يطول الشرح في سردها وتعدادها. وليس في وسع أحد الإجابة عنها جوابًا مقنعًا يشفي الأوام، لأنه قد أسدل على زمن تاريخها وتأسيسها حجاب الغموض والإبهام لبعد عهده وتوغلها في القدم.

وقد ارتأى بعضهم منذ أعوام أن الخليج هو مهد حضارة الجنس البشري، وأصحابه هم أول من تغلغل في المدنية وسكانه هم أول من قطع الفيافي ومخر البحار واقتحم الأخطار واختبر فن الملاحة وأهوالها.

فقد أنبأتنا سجلات ورقم المصريين القدماء عن أرض تسمى البنط وبعض النصوص تصرح بأن البنط هي الأراضي نفسها المجاورة للأحساء والبحرين ولكن تحتاج هذه المسألة إلى بحث دقيق ونظر عميق لأن الكتابات المصرية القديمة لم تعين تمامًا موقع البنط ولا حددت تخومها، بل أشارت إليها بعض إشارات طفيفة لم تزل في موضوع الشك والارتياب.

ومهما يكمن من حقيقة موقع البنط فإن ديار البحرين أو ما جاورها تعد مهد الجنس البشري وربوع الخليج هي أقدم محل في المعمور سطعت منه أنوار المدنية والحضارة وقد جاء في بعض أساطير الأولين أن الشعوب القديمة سكنت في أقصى أطراف المسكونة هم حديثو العهد بالنسبة إلى سكان الجزيرة. وقد ذكرتهم أقدم التواريخ وعدتهم بين أقدم أمم الأرض قاطبة فأبناؤهم هم الذين مصَّروا أرض الكلدانيين وشقُّوا أسس بابل وحفروا خنادقها وبنوا أسوارها وأبراجها وقد اشتهروا بمواهبهم العقلية السامية وبفطرتهم المتوقدة وقد أثبت رولنسن الشهير بالأدلة القاطعة والحجج الدامغة أن الكلدانيين القدماء أخذوا جميع معارفهم عن

أهل تلك الجزيرة واقتبسوا منهم جلَّ علومهم ومعلوماتهم كعلم التنجيم والسحر والعرافة والكهانة ونحوها، وشهد أيضًا أن عهد ذريتهم يرتقي إلى نسل آدم المذكور في سفر التكوين من التوراة، أي منذ بدء العالم. وقال غيره إن من هذه البقعة انتشرت عبادة الآلهة الكاذبة والمعبودات الباطلة كإله البحر العظيم المرسوم على بعض أطلال الكلدانيين المندرسة المسمى هيا أو أواني، وكانوا يعتقدون أنه رب الهاوية وسيد البحار وقد دعوا الخليج العربي باسمه تيمنًا وزعموا أنه مطلق القدرة وفي استطاعته أن يأخذ بيد من يستغيث ويستجير به في ضيقته وبليته، وهو الذي علَّم سكان دجلة والفرات القدماء العلوم والفنون والصنائع والمعارف ولقَّنهم الآداب ورسم لهم الشرائع والأحكام لكي يعملوا بموجبها، إلى غير ذلك. وقد قيل إن الشعب اليهودي اقتبس جلَّ تقاليده من البابليين الذين أخذوها قبلًا من الأمم الساكنة على ضفاف الخليج.

يعتقد اليوم جمهور من المؤرخين أن السلالة الصينية لم تنشأ قط من المملكة الصينية المتوسطة، بل نزلت من الشعوب والقبائل التي رحلت من ديار البحرين إلى ما بين النهرين ومنها إلى آسيا الوسطى، ومن هناك سارت إلى ضفاف النهر الأصفر وذلك قبل أربعة آلاف سنة أو عشرين قرنًا قبل المسيح عندما أخذ مؤرخوهم يدونون الحقائق التاريخية المتينة المكينة بدلًا من الخرافات الواهية الواهنة كما شهد بذلك كونفوشيوس ذاته.

من يطالع تواريخهم الخرافية ووقائعهم الخيالية المدونة عن القرون العشرة السابقة لزمان مهاجرتهم يرى أن الصينيين الحاليين وجدوا بلادهم مأهولة بالسكان الأصليين. وقد قيل إن بعضًا من ذريتهم لم يزل موجودًا حتى يومنا هذا في أقطار الصين البعيدة، وبعد سفرهم الشاسع ألقوا عصا ترحالهم في مشرق البلاد ولا يبعد

أنهم شنّوا الغارة على سكان تلك الديار وقتلوهم عن بكرة أبيهم واستباحوا أموالهم أو أنهم دحروهم إلى ما وراء الجبال تخلصًا من غدرهم وفتكهم الذريع.

فالرأي القائل إن الصينيين أتوا من بين النهرين رأي لا يقبل النزاع أو الجدال لثبوت صحته ووفرة الشواهد عليه وهاك بعضها: قال أحد كتبة الإنكليز الكبار: «أمس كنت في دار التحف البريطانية، ورأيت هناك بعض رسوم رؤوس شياطين البابليين وحتى يومنا هذا يمكننا أن نرى في أغلب بلاد الصين صورًا طبق الأصل وتشابهها كل المشابهة» ومن يتدبر التواريخ الصينية يرى لأول وهلة كيف أن الصينيين الحاليين عندما توغلوا في البلاد كان السكان الأصليون الذين حاربوهم يدعونهم «نسل الشعر الأسود» وسكان بابل كانوا يلقبون أصحاب المعارف والعقول الرفيعة من أهل الخليج الذين وطئوا ديارهم وحلوا ربوعهم «الجزائريين ذوي الرؤوس السوداء».

لقد صرح العالم الفرنساوي تريان دي لا كودري أن الكتابات المصورة الصينية القديمة تشابه تمامًا خطوط ورسوم سكان بين النهرين القديمة، وأن آلهتهم وشعائرهم الدينية تماثل آلهة الشوشنيين، ورسوم تقاليدهم ومعارفهم وفنونهم الطبيعية القديمة كعلم الهيئة وعلم الفلك والطب وحفر الترع ومجاري المياه الصناعية.. إلخ لا تفرق البتة عن معارف وفنون البابليين وإن شئت فقل هي بعينها.

ويضيف الباحث العراقي، رزوق عيسى، في بحثه حول قبور عالي التاريخية: إذا استقرأنا التواريخ وتصفحنا الكتب القديمة العهد النادرة الوجود، نرى جليًّا أن أهل بابل قد استمدّوا جلّ

معارفهم، إن لم نقل كلها، من سكان الخليج العربي، المندرس الربوع المهجور الشواطئ، التي تملؤها الآن غير مكترثين بها، وقد كانت في عصر من العصور الخوالي مصدر حضارة البشر ومنشأ مدنيتهم، فلما أخذ الإنسان يتدرج في معارج العمران هجرها وشرع يطوف في طول البلاد وعرضها، ومنذ ذلك الحين أخذ ظل عزها يتقلص رويدًا رويدًا، حتى أصبحت ديارها كما نعاينها الآن بلاقع خالية من آثار التمدن. أما سبب تقدم أهلها وسموهم على غيرهم في ذلك الزمان فهو على ما أظن موقعهم الطبيعي التجاري الذي دفعهم إلى أن يخوضوا غمار المخاطر ويحلِّقوا في سماء المجد والعرفان والسؤدد، ومن هذا القطر نزح أيضًا شعوب وقبائل عديدة راقية جدًّا منها الطورانيون المذكورون في كتاب العهد القديم باسم الكنعانيين، فإنهم اجتازوا بلاد العرب ودخلوا سوريا وأسسوا فيها مدينتي صور وصيدا.

وقد أخبرنا هيرودوتس، المؤرخ اليوناني الشهير، أنه زار صور وتفقد معالمها وجالس شيوخها وخاطب كهنتها في أمر بنائها، فأجابوه أن هيكلهم قد بني قبل زيارته إياها بألفين وثلاثمائة سنة، وبعد أن برح الطورانيون عن أوطانهم، اجتازوا بلاد العرب شيئًا فشيئًا، كما فعل قبلهم أسلافهم الصينيون عندما رحلوا نحو مشرق الشمس، ويظن رولنسن أن ذلك حدث منذ خمسة آلاف سنة.

لنترك هذه المسائل لمن يريد استقصاءها بذاته ثم نعود فنقول: متى بنيت القبور في البحرين؟ وما هو زمن تأسيسها على التحقيق؟ ومن الراقدون فيها؟ إن هذه الأسئلة تظهر لنا كأحجية، أما ثيودور بنت، فقد أخبرنا أن المدفونين فيها هم من أصل فينيقي هجروا أوطانهم وقطعوا فيافي بلاد العرب وحلوا بهذه الربوع وبنوا على

البر بلدة على خط البحرين في موضع بقرب مدينة القطيف الحديثة، ربما كان عند رأس الخليج، حيث ترى اليوم جزيرة البحرين، وكانت مدينة عظيمة فيها سوق تجارية واسعة اسمها «الجرعاء» التي يظنها البعض مدينة أوفير الشهيرة نفسها بكثرة ذهبها والغنية بمعادنها، وقد جاء ذكرها في العهد القديم من الكتاب الكريم. فهل يا ترى اعتقد سكان الجرعاء أن البحرين بقعة مقدسة التربة حتى ينقلوا إليها جنائز موتاهم ويدفنوهم فيها، كما يفعل اليوم الإمامية في نقل جنائزهم إلى كربلاء والمشهد (أي النجف) أم لأنها قريبة من البحر وهي مركز التجارة وتلك المدافن هي قبور أولئك السكان.. أم أقيمت تلك المقبرة الغريبة قبل أن يبرحوا عن الوطن ويتوغلوا في قلب بلاد العرب أو قبل أن يمصر أهل الجزيرة أرض الكلدانيين وينشئوا فيها مهجرًا ويقيموا مستعمرة، فهذه المسائل لا يستطيع الإنسان أن يبتَّ فيها برأيه لقدم عهدها وغموض أسرارها.

إن المستر بنت فتح بعض القبور وعثر على بضعة آثار فانتقى منها شيئًا وبعث به إلى الملحق البريطاني وبعد أن أمعنت لجنة المعهد نظرها فيها ودققت فحصها قرَّ رأيها على أنه من أصل فينيقي وعليه تدل هذه الآثار على أن القبور قديمة جدًّا، فإذا سلمنا بتلك الدلائل واعتبرناها صحيحة تكون القبور قد بنيت على الأقل منذ نحو خمسة آلاف سنة. هذا إذا كان رولنسن قد ضبط حسابه في تاريخ الهجرة إلى البحر المتوسط.

إن الخط المسماري قديم جدًّا عند سكان بابل وكان للفينيقيين ضرب من الكتابة تشبه الحروف، ولما اكتشفت صناعة الكتابة وأخذ الناس يستعملونها في التدوين والتسجيل تركت الكتابة المسمارية. على أن الباحث مهما نقب في تلك المدافن فإنه لا يعثر على شيء

من قبيل الحفر أو النقش على صخورها وأحجارها مع أن الفينيقيين عندما ألقوا عصا ترحالهم في البحر المتوسط أخذوا يقلدون المصريين في وضع موتاهم في نواويس ولسوء الحظ لم يوجد ناووس واحد في تلك المدافن ليتخذ منه دليل على تاريخ سالف لزمان الجلاء، وهناك أمر آخر يستحق التدبر والتروي وهو أن أحد الباحثين قال حين اكتشف البقعة وتدبر ما فيها أن جميع القبور التي فتحت بجنب (قرية علي)، والصحيح (عالي)، وهي قبور أعلى من سائر القبور التي وراءها بنحو عشرين قدمًا هي في رأيه، حدث من غيرها. ومما يؤيد ذلك أن هذه القبور قائمة على طرف المقبرة الفسيحة الأرجاء القديمة العهد ويظهر أنها آخر ما شيد وأقيم هناك. كتب القائد دورند ما نصه: «إن الآكام العالية هي قريبة من قرية علي (عالي) وهي أكبر من غيرها». إن ما فاه به هذا الكاتب واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. فنيرخوس الذي تولى قيادة أسطول الإسكندر الكبير في سفرته الشهيرة إلى الخليج العربي يصف كيف أنه زار مدينة فينيقية في البر وجزيرة تدعى تيرين ويظهر أنها هي التي تسمى اليوم دارين عند العرب وديرين يقصد (دارين) عند الآرمية وهي فرضة بالبحرين، وقد رأى هناك قبر آرثر الذي كان سلطان الخليج، ولا يبعد أن يكون اسم الخليج في السابق أي البحر الآرثري مشتقًّا منه، ونيرخوس يصف المدافن بقوله: «رابية مرتفعة كثيرة النخل» فهذا الوصف ينطبق أتمَّ الانطباق على إحدى تلك الروابي العالية بقرب (قرية علي) (عالي) بخلاف سائر الروابي فإنها لا تنطبق عليها وهي بعيدة عنها أميالًا عديدة، بيد أنه لا يوجد الآن نخل وهو ولا شك مات لتقادم عهده.

وهذه الرواية تؤيد أن الآكام الكبيرة بنيت في العهد الأخير والدليل على ذلك أن اسم الشخص المدفون في إحداها ذكر في

زمن نيرخوس، رفيق الإسكندر المقدوني، عندما شهدها ويظهر أنه لم يبحث أحد في هذا الأثر منذ ذلك الحين حتى قام الضابط دورند الذي رُفع بعد ذلك إلى درجة أمير «دوق» وذلك أنه بينما كان يجول في أراضي تلك الجزيرة الموحشة خطر له فجأة أن يفتح أحد تلك المدافن وينقب فيه علَّه يعثر على شيء يستحق الذكر والعناء، ومن الغريب أنه مضى عدة قرون من نيرخوس إلى زيارة ذلك الضابط الإنكليزي، ولم يبحث أحد بحثًا وافيًا عن تلك الآثار الغريبة القديمة العهد.

لقد أطلقت العنان لقلمي في موضوع أنا فيه قصير الباع، مع أن موضوعًا كهذا زاخر العباب يحتاج إلى أن يلمَّ به خبير بارع. هذا ورولنسن لم يكتب شيئًا مذكورًا عن تلك المدافن ومنزلتها في عالم الآثار القديمة. وكل ما يقوله الأديب عنها هو من باب الرجم وليس عليها كلها شيء من العظمة والأبهة التي ترى في خرائب مصر الهائلة المنقورة في الصخور، وأطلال صور وصيدا.. إلخ، إلَّا أن في آثار البحرين مزية لا توجد في غيرها، وهي بها تفوقها من عدة وجوه، منها أنها تبني في ذهن من يراها ذكرًا لا يمحى وصورًا تنطبع في مخيلته حتى أنها تنقله إلى الأعصر الخوالي، وتضع نصب عينيه حوادث الأيام القديمة جدًّا، ولا أراني أبالغ إذا قلت إنها تذكره بالوقائع التي جرت منذ تأسيس العالم. وعلى كل حال فصحراء البحرين، الموحشة الفسيحة الأطراف المملوءة من القبور، تؤثر في النفس، أكثر مما تؤثر خرائب كرنك وطيبة فهل الآكام التي نحن بصددها هي أقدم من جميع أطلال مصر وبابل ونينوى وفينيقية المندرسة؟ ذلك مما لا أستطيع أن أبتَّ فيه رأيًا، لما يحتاج إليه من أعمال الروية ودقة النظر والوقوف التام على كنه الحقيقة، ولا أظن أن أديبًا من الأدباء يستطيع الإجابة الصادقة عن ذلك، بالنظر إلى ما

لدينا الآن من قلة الوسائل التي تهدينا إلى الجواب، بيد أن الظواهر تحمل السائح على أن يعتقد أن سذاجة المدافن وخشونتها وعدم إتقان بنائها، هي البقعة التي سكنتها القبائل والأمم ذوات الرؤوس السوداء التي وافت بابل عبر البحر وشيدت معالمها، وهذا ما يستدل عليه من آثارهم التي تركوها للأجيال المقبلة إذ هي أقدم ما صنعته يد بشر على وجه البسيطة بأسرها.

إني لا أتعب القارئ الكريم بشرح دقيق أو وصف مسهب عن قياس المدافن ومساحتها أو عن ماهية ونظام باطنها أو عن الذخائر والآثار الموجودة فيها، فهذه الأمور وغيرها يوفيها حقها من البحث أربابها، وأريد بهم الرواد الذين يطوفون البر والبحر للوقوف على مجاهل البلاد، وفي يقيني أنهم تفرغوا للفحص والتنقيب عن تلك المقابر العظيمة، ولو بعد حين، وينشرون عنها أبحاثًا علمية تاريخية وافية بالمراد. وقد عزمت بعد الاتكال على اللّه أن أصف المدافن ولو على سبيل الاختصار، لكي يلمَّ بها المطالع الأديب في الوقت الحاضر فأقول:

كل مدفن يشتمل على غرفتين كبيرتين الواحدة فوق الأخرى مبنية من قطع صخر ضخمة ولا يبعد أنها قد قطعت من «جبل الدخان» الواقع في صحراء بعيدة يوجد فيها أيضًا على جوانبها غُرف ومعابر وسيعة بنيت على غاية الإتقان ولا يوجد عقود أو دعائم، ويظهر أن الغرف قد بُنيت قبل أن يُبنى سائر ما يحيط بها من البناء. وهذا البناء محكم مجصَّص وله طبقات مرصوفة من التراب وصغار الحجارة وكانت هذه المدافن قد أقيمت لمقاومة الدهر وصدّ آفاته، فمحيط أساس أكبر التلال نحو خمسين ذراعًا، وقد عثر القائد دورند على هيكل بشري في الغرف السفلى طوله نحو تسع أقدام صغير الجمجمة منخفض الجبين واسع حرف

حجاج العين (المحجر) وعندما عرضت الجمجمة للنور والهواء تكسرت كسرًا عديدة. إن رؤية بعض عظام الهياكل تدل على أن أصحابها دفنوا وهم جلوس ويظهر أنهم كانوا من وجوه الأمة وسراة القوم، وكان دفنهم يجري على خلاف ما كان تدفن العامة على حد ما هو جارٍ اليوم عندنا في دفن البطاركة والمطارنة والملافنة والأساقفة وسائر الرؤساء الروحانيين، بيد أن ذلك يحتاج إلى بحث دقيق وفحص كثير. وقد اكتشف حديثًا من المنعطفات قطع من عظام بني آدم. أما في الغرف العليا (الفوقانية) فقد وجد عظام كبيرة عدت من عظام حصان وأيضًا قطع من معدن يشبه الصفر (النحاس الأصفر) والنحاس الأحمر وسقف وخزف خشنة غير مصقولة وقشور بيض النعام وبضع آنية مصنوعة من العاج وتماثيل وغير ذلك من الأدوات المختلفة الأشكال. وفي أراضي غرف بعض المدافن شيء كثير من عظم اليربوع (واليربوع ضرب من الحيوانات يشبه الجرذ ويكثر في صحارى الخليج) وفي تلك القبور مقادير وافرة من العظام الصفراء قد دفنت هناك منذ قرون عديدة وقد نقبت أغلب تلك الغرف تنقيبًا دقيقًا طمعًا في العثور على آثار ذات شأن جليل ولكن جلَّ ما وجد فيها بقايا سجف وستائر قد تحولت إلى كوم من تراب لطول عهدها وهناك أيضًا قطع أخشاب قد نخرها السوس والديدان.

أما البناء فهائل جدًّا وجرمه عظيم لكن لم يعثر فيه على الأدوات التي كانت تتخذ في الحفر والبناء، بل ولم يعثر على رسوم أو نقوش أو كتابة، بيد أن هناك شقوقًا وأخاديد ونوعًا من الخنادق القليلة الغور قد حفرت حول أساس كل مدفن.

إن أول من فتح تلك المدافن وباشر بالحفر والتنقيب فيها هو المنقب (اليوزباشي) الباسل دورند وذلك في سنة 1879م ولا تسأل

عن الصعوبات والمشقات التي لاقاها في سبيل الوقوف على آثار تلك الديار، وقد نال أخيرًا بغيته التي كان يتوخاها، إذ حصل على معارف وإفادات جمَّة، وذلك بينما هو مُجدٌّ في عمله وسائر على الخطة التي اختطها باغتته سفينة حربية إنكليزية فساعده ربانها الهمام كل المساعدة ولم يمده فقط بفريق من نوتيته ليساعدوه في التنقيب والتنقير، بل عرض عليه آراء جليلة تذلل العقبات والمشاكل وتمهد له السبيل للحصول على ما كان يدور في خلده، وقد أشار عليه أن يتخذ وسائل النسف داخل إحدى الغرف المفتوحة ليزيل عنها سطحها ويتسنى له الوقوف التام على محتوياتها، ولكن النتيجة لم تأت بالمطلوب لأن سقف الغرفة المذكورة سقط في باطنها وكان في ذلك نهاية أعمال البطل دورند إذ على أثر ذلك دعاه أولو الربط والحل ليتقلد زمام وظيفة أخرى في محل آخر، وفي سنة 1889م خلفه الفاضل بنت ومعه عقيلته وأخذا بالحفر والتنقيب وقد فتحا مدفنين متوسطي الحجم ومنذ ثماني أو تسع سنوات زار جماعة من علماء بلجيكا البحرين وتفقدوا القبور وفتحوا أحدها، ولم تصل لي نتائج أبحاثهم.

وممن عني بالحفر أيضًا عامل بريطانيا العظمى في البحرين المنقب (اليوزباشي) بريدكس وقد حفر بقرب قرية علي «عالي» واشتغل فيها عدة أسابيع وفعل مثل ذلك في «المنامة» وكان قد ضرب له في وسط المدافن خيمة يتردد إليها من وقت إلى آخر. وجمع طائفة كبيرة من الرفات وبعض القطع من العظام البشرية وغيرها من الآثار وقد بعث بها إلى دار التحف في لندن.

كم من أمة طرقت ذلك الطريق الوعر والجادة الموعثة، ووقف أبناؤها ونخبة من أفرادها حاسري الطرف مشتتي الأفكار لا يبدون حراكًا لما داهمهم من الاضطراب والقلق بخصوص أسرار تلك المدافن المبهمة، فخطوات أقدامهم تردد أمام مخيلتنا القرون

المنصرمة ودوي آثار أيديهم ترن في آذان الدهور الغابرة، وأحدثهم عهدًا بها الإنكليز وقد سبقهم إليها البرتغاليون فالعرب فالفرس فالهنود فالرومان فاليونان فالفينيقيون فالبابليون فالكلدانيون فأصحاب الرؤوس السود الذين هم أول من مدَّ رواق التمدن والعمران البشري على وجه البسيطة. وعليه يكون تاريخ بلاد اليونان حديثًا جدًّا، ولهذا تحسب مملكة الرومان والصين واليابان والهند من ممالك أمس بجانبه.. هذا وكم من أمة وقبيلة وشعب ولسان ودولة زالت وانقرضت قائمة بعزها ومجدها، كما كانت منذ أول بنائها إذ أنياب الدهر ومخالب طوارئ الزمان لم تقو على ملاشاتها وإفنائها من على سطح الكرة الأرضية وهي واقفة على أركانها الضخمة تسخر بمرور الأيام وكرور الأعوام فسبحان من بيده البقاء والخلود والفناء والوجود.

في كل مكان وفي كل زمان!

لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

الجزء ٧ من السنة ٢ عن صفر سنة ١٣٣١ — كانون الثاني ١٩١٣

قبور غريبة قديمة في البحرين سابقة لعهد التاريخ
Une Nécropole préhistorique à Bahreïn.

١ ـ تمهيد

الاثر الذي اريد ان اوجه اليه انظار قراء لغة العرب هو المدافن القديمة العهد في البحرين فقد عزمت على ان ادون ماصرح ومحض من تاريخها خدمة للناطقين بالضاد لخفاء امرها على الكثير بن منهم وطموس اخبارها حتى عن اغلب الرواد والمستشرقين معتمداً في ذلك على الثقات من السياح والمؤرخين .

٢ ـ الطريق المؤدية الى المدافن القديمة

بعد ان يلقي السائح عصا ترحاله في البحرين يقصد المقابر المهجورة في وسط الجزيرة التي تبعدنحو سبعة اميال عن«منامة» اذا ارادالوقوف على سابق حضارة تلك الديار واول مايصادف في طريقه ارضاً جرداء رملية لايوجد فيها من الاثار المهمة سوى قلعة عظيمة الشان مربعة وفي خارج اسوارها مدفع لابل مدفعان قديما العهد مهملا الاستعمال قدعلاهما الصدأ والغبار وفي كل ركن من اركان المعقل برج هائل وهو عبارة عن صرح كان حاكم البلدة اي شيخها يصطاف فيه وداخل اسوارها الشاهقة لايوجد

صورة من الصفحة الأولى من المقال من مجلة (لغة العرب)

عمل
إئتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

بدايات أول مدرسة نظامية في البحرين

التلاميذ النجباء

بينما كان (عبدالعزيز الشملان)، وهو الصبيُّ الذي لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، يلعب مع ابن عمه، ويقضيان وقتهما في صيد الطيور، فاجأهما في صباح أحد أيام شتاء عام 1919م، والد الشملان بإخبارهما بكلام غريب لم يألفاه من قبل قطع عليهما لذة اللعبة ومتعة العيد.

ففي ذلك الصباح شعر الصبيان (عبدالعزيز) و(عبدالرحمن) أن الموضوع ليس جديًّا فقط، بل هو موضوع خطير. فحالما اجتمعا معه قال بصوت واضح: يجب أن تستعدّا من الآن يا ابنيَّ، وتتركا الصيد واللعب وتودعاهما إلى الأبد.

وبالطبع قاطع الصبيان الحديث قائلين بصوت واحد: لماذا؟ عندها بدأ حديثه الغريب قائلًا: لأنكما ستذهبان غدًا إلى المدرسة!

وأيضًا عادا إلى السؤال قائلين: وما هي المدرسة؟

ويبدو أنه كان متوقعًا هذه الأسئلة، لذلك أجابهما في الحال وبدون أي تفكير: إنها تشبه (المطوّع) التي ختمتما فيها القرآن، ولكن في المدرسة سوف تتعلمان أشياء كثيرة غير موجودة في (المطوّع). ففي المدرسة ستتعلمان دروسًا تتمشى مع عصركما.. فهيَّا استعدّا.

والغريب أنه بعد انتهائه من هذا التعريف البسيط للمدرسة لم يهتم إطلاقًا بسماع موافقتهما المؤكدة. فقد غادر ساحة اللعب الكبيرة في منطقة الجفير بالمنامة والطفلان يتمتمان: مستعدّان.. مستعدّان.

فوقتها كان المثقف البحريني المعروف (سعد الشملان) والد (عبدالعزيز) مشغولًا مع بقية أصدقائه في مدينة المحرق باحتفالات افتتاح أول مدرسة نظامية في البحرين، كُتب على يافطة بابها الرئيس «مدرسة الهداية الخيرية الخليفية». وبجانب الانشغال الكبير كان مسرورًا لنجاحه مع بقية مثقفي البحرين وبدعم أساسي من التجار والشخصيات المعروفة في تأسيس هذا المشروع الحضاري الكبير بعد عدة سنوات من التفكير به والتحضير له.

أما الصبيّ عبدالعزيز الشملان فقد تركه والده ليحاول بنفسه الإجابة عن مئات الأسئلة التي ازدحمت في تفكيره، في نفس الوقت الذي اختلطت المشاعر بداخله.

فمع أن الإجابة كانت: نعم للمدرسة، إلَّا أنه كان يشعر بالحزن الكبير لأنه سيغادر منطقة (الجفير) ملعب الطفولة الجميل الحافل بالنخيل والبر واللعب مع الأصدقاء، وينتقل فجأة إلى مدينة المحرق: العاصمة الكبيرة التي لا يعرف فيها أحدًا سوى جدِّه.

وكان من الصعب أن يفارق البراءة والأيام الحلوة والأزقة والأحياء والأطفال الذين يتناثرون في كل مكان،وفي الوقت نفسه كان يعزّ عليه كثيرًا أن يتخلف عن (الدروس الجديدة التي تناسب العصر).

وفي ليلة واحدة فقط تقاسمتها الكوابيس عن فراق ملعب الطفولة، والأحلام الجديدة وتلامذتها وأساتذتها، حسم الشملان

كل المشاعر المتناقضة والأفكار المتضاربة، واختار (المدرسة): الحياة الجديدة التي سينضم إلى عضويتها.

وفي صباح اليوم التالي وصل التلميذ (الشملان) في ساعة مبكرة إلى مبنى متواضع كان قبل ذلك التاريخ منزلًا لشخصية بحرينية هو (علي بن إبراهيم الزياني)، استأجرته الإدارة الخيرية للتعليم المشرفة على إدارة المدرسة لكي تبدأ العمل في البيت حالما ينتهي بناء المدرسة في شمال المحرق.

ومع دخوله إلى فناء المدرسة شاهد زملاءه المقبولين أمثال: أحمد العمران، محمد بن يوسف فخرو، أحمد بن شاهين الجلاهمة، حمد بن محمد المحميد، محمد بن علي عبيدلي، عبدالله بن يوسف الزياني، راشد بن أحمد الزياني، محمد بن أحمد مراد، وغيرهم.

كانت الدقائق الأولى في المدرسة نظرات إعجاب متبادلة بين التلاميذ أنفسهم، فقد جاؤوا جميعهم وهم يلبسون أفخر الثياب وأنظفها، علاوة على تأنقهم بالعباءة (البشت)، وذلك استعدادًا لهذا اليوم العظيم الذي لا يقلّ في أهميته عن الأعياد، كما أن لبس (البشت) - كما أمرهم أولياء أمورهم ـ أعطى المدرسة أهمية استثنائية ومهابة خاصة.

وفي لحظات وقف التلاميذ في طابور طويل منتظم، وراح بعض مدرسي المدرسة يفتشون على ثياب ونظافة التلاميذ، والتأكد من لبس (البشت) وارتداء النعل، التي كانت لا ترتدى إلّا في بعض الأوقات. وبعد التفتيش المطوّل والدقيق تمّت المناداة على أسماء التلاميذ، وكان يقوم بهذا الدور المعلم المصري (عباس زكي) بصوت مرتفع.

ومع مناداة الأسماء تبَّين أن تلاميذ المدرسة لا يتجاوز عددهم الخمسين طالبًا، وكان يمكن رؤية الفوارق بينهم بكل وضوح. فبينما كان بعضهم طفلًا صغيرًا لا يتجاوز السادسة من عمره، كان بعضهم شابًّا في العشرين.

وبعد مناداة الأسماء جرى للتلاميذ امتحان بسيط في كتابة الحروف العربية التي تعلمها التلاميذ من قبل في مدارس تحفيظ القرآن (المطوّع)، وكان يُجري هذا الامتحان المعلم الكويتي هاشم الطبطبائي، وعلى حسب جمال الخط يتقرر وضع التلميذ في أي فصل على حسب الدرجات.

وعند انتهاء هذا الامتحان ذهب التلاميذ إلى الشيخ عبدالعزيز العتيقي، أحد مسؤولي المدرسة، وعنده أجري لهم امتحان آخر، راح يسأل فيه التلاميذ بعض الأسئلة التي يكتشف منها إمكانياتهم ومعارفهم. وعند هذا الامتحان يذهب التلاميذ على الفور إلى الفصل الذي اختارته لهم إدارة المدرسة.

ومع بدء اليوم الدراسي تعلم التلاميذ أول درس في نهضة البحرين الحديثة.

وبانتهاء الأيام الأولى امتلكت (مدرسة الهداية الخيرية الخليفية) عقول وقلوب التلاميذ، واستطاعت في أيام قليلة أن تطرد كل مشاعر القلق والرهبة، وأن تخلق لهم عالم طفولة وصِبًا جديدًا رغم سيطرة الجد على اللعب. وبجانب ذلك وجد التلاميذ أنفسهم أمام عالم جميل ومعارف مفيدة وحكايات غريبة، عالم جديد لا يمتلكون أمامه سوى الاستماع والدهشة.

ففي هذه المدرسة، التي طالما انتظرها أهالي البحرين بشوق،

راح التلاميذ يدرسون مبادئ الحساب: كالجمع والطرح والضرب والقسمة، بجانب القراءة والكتابة، علاوة على الجغرافيا وعلوم الدين، والتاريخ الذي سحرت دروسه وأساتذته العباقرة عقولهم بشكل لا يصدَّق.

ففي درس التاريخ الذي كان يقرأ حكاياته وحوادثه وشخصياته بصورة مشوِّقة للغاية الشيخ عبدالعزيز العتيقي، وصل الاستمتاع بهذا الدرس إلى درجة إظهار الامتعاض الشديد والغضب عندما يُقرع الجرس معلنًا نهاية الحصة.

وبجانب (العتيقي)، كان الأستاذ السوري الوطني عثمان الحوراني، الهارب من مشنقة الإعدام في دمشق لكونه أحد رجالات ثورة العشرين الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي، يلهب هو الآخر مشاعر التلاميذ ويوقظ فيهم تاريخ العرب المليء بالبطولات والملاحم.

ومع الوقت وجد التلاميذ في مجموعة المدرسين المختارين بعناية فائقة من قبل الشخصية الوطنية البحرينية المعروفة عبدالوهاب الزياني، النائب الثاني لرئيس الإدارة الخيرية للتعليم، أنهم أكفاء ومخلصون ومن الصعب التفتيش على نقاط ضعف فيهم هنا وهناك. فمجموعة المدرسين، الذين كان يقودهم المثقف المصري حافظ وهبة، جاؤوا من أجل هدف واحد هو المساهمة في تأسيس التعليم الحديث، والعمل على رقيِّه ونهضته. وعلاوة على عروبتهم ووطنيتهم، كانوا موسوعات في المعارف الحديثة، فأيّ معلم فيهم كان يستطيع بسهولة أن ينوب عن زميله تحت أي ظرف في تدريس مادته. فحتى ولو كان المعلم يدرس اللغة الإنجليزية وضليعًا فيها، فإن ذلك لا يمنعه من الإبداع في حصة التجويد، وهكذا.

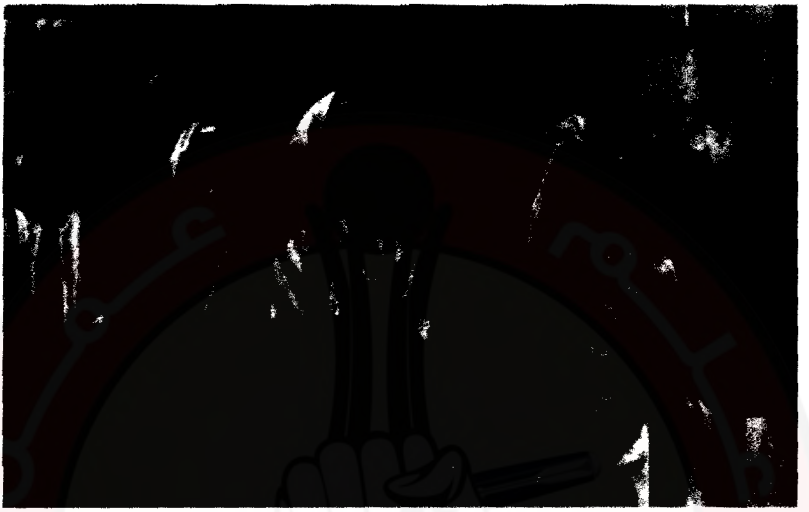

تلاميذ مدرسة الهداية

وأكثر من ذلك تنوعت جنسيات المعلمين شرقًا وغربًا، فبعضهم من مصر وسوريا، وغيرهم من نجد والكويت، وآخرون من اليمن والمغرب. وبالطبع لم تمنع عروبة هؤلاء عن الاحتكاك والاختلاف في شؤون التدريس، وهذا أمر عادي.

وخارج الصفوف الضيقة وجدران المدرسة تعرف (الشملان) ومعه بقية زملائه على المناخ الصاخب الذي ولدته فيه المدرسة الحضارية.

فمع الشائعات الأولى التي انتشرت في مدن المحرق والمنامة والحديث عن نية مثقفي وتجار البحرين البارزين في إنشاء مدرسة حديثة على طراز المدارس والمعاهد العربية في بلاد مصر والشام والعراق، مع الشائعات الأولى انطلقت شائعات مضادة هدفها الأساسي إضعاف عزيمة المتحمسين، والتشكيك في جدوى

المشروع، والأهم: التحدث بصوت عالٍ حول فساد هذه المدارس المؤكد في تخريب أخلاق التلاميذ الذين سوف يلتحقون بها. ومضت (حرب الشائعات) في شوارع البحرين بلا هوادة، وأصبحت مع الوقت حديث الساعة الذي لا يملّ الناس التحدث عنه.

وبمرور الأيام تحولت الشائعات إلى حقائق، وأصبح مشروع (مدرسة الهداية) على وشك التنفيذ.

وحينها حاول بعض المتعصبين المراهنة على عزائم الأهالي وتثبيط عزائمهم ومحاولة إقناعهم بالعدول عن قرارهم بإدخال أبنائهم المدرسة. وراهن هؤلاء على الوقت، فهو الكفيل بتحطيم مثل هذه المشاريع التي لا تمتلك سوى الحماس فقط.

لكن رهاناتهم فشلت وأصيبت بانتكاسة خطيرة عندما أعلن في البحرين عن افتتاح (مدرسة الهداية الخيرية الخليفية)، وقبول أكثر من خمسين تلميذًا، وحصول الإدارة التعليمية المسؤولة عن المدرسة على مئات الروبيات في حفل الافتتاح، وإعلانها عن بدء العمل في بناء المدرسة بالمحرق.

مضت المدرسة خطوات كبيرة، وكبرت النجاحات فيها رغم استمرار ملاحقات الإشاعات التي انتهت بعد عدة أشهر تقريبًا بإشاعة بدت في أول الأمر مرعبة، ثم ما لبثت أن أصبحت نكتة يتندر عليها الناس.

فمع فشل الكثير من الاعتراضات، أطلق المعارضون للمدرسة إشاعة تقول إن التمارين السويدية التي يمارسها التلاميذ في المدرسة ما هي إلّا تدريبات عسكرية للالتحاق بالجندية البريطانية، والاشتراك في الحروب، وبالطبع لم يصدِّق ذلك أحد.

لعل نجاحات المدرسة الكبيرة، وفشل الشائعات وضعف المعارضة، زاد من اهتمام الأهالي والمثقفين والتجار وغيرهم بالمدرسة وبصورة ملحوظة، تمثلت في الزيارات شبه الأسبوعية التي راح يقوم بها هؤلاء لتفقد مستوى المدرسة ومشاهدة التعليم على الطبيعة، والاستماع إلى شروحات المدرسين ورؤية مستوى التلاميذ، بل وحضور بعض الحصص. وأيضًا كان اهتمام تلك الشخصيات الزائرة بالمدرسة يصل في كثير من الأحيان إلى درجة أن بعضهم كان يكتب إلى إدارة التعليم الخيرية تقريرًا مفصلًا عن جولته في ذلك اليوم، ويذكر فيه كل ما شاهده، ولا ينسى أيضًا تدوين ملاحظاته وبعض مقترحاته. وكان غيرهم يذهب بنفسه إلى إدارة التعليم ويخبرهم ـ مثلًا ـ حسب وجهة نظره عن ضعف ذلك المدرس في مادة الدين، واقتراحه ضرورة تغييره. وبالطبع كانت إدارة التعليم تأخذ بجميع الآراء والملاحظات والمقترحات وتستفيد منها، وتحقق في بعض الشكاوى، وتتخذ القرارات في كل تلك المسائل بعد تحقيقات خاصة يجريها أعضاؤها.

وعلاوة على العالم الجميل الذي خلقته للتلاميذ وزيارات الشخصيات البحرينية، اكتسبت المدرسة بفضل أساتذتها وتلامذتها النجباء وطرقها العصرية، شعبية كبيرة في وسط سكان مدينة المحرق، التي تقع فيها المدرسة.

وفي معظم الأحيان كان التلميذ «عبدالعزيز الشملان» ومعه بقية التلاميذ يتمنون في كل مرة أن يخطئ مدرس التجويد أو أن يمرض حتى يحضر إليهم مدير المدرسة بنفسه، الشيخ حافظ وهبة، ويقرأ لهم. أما السبب فقد كان ببساطة أن وهبة كان يمتلك صوتًا جميلًا لا ينافسه فيه أحد، وكان يحسن التجويد، خاصة وأنه أزهري.

وكثيرة هي المرات التي استمتع التلاميذ بصوت وهبة، وكان يواظب على سماع تجويده الكثير من الأهالي والمارة الذين يقفون بالقرب من نوافذ المدرسة خاشعين لتجويد وهبة العظيم.

وبالإضافة إلى تجويد وهبة، استحوذت حصص التاريخ للعتيقي والحوراني على شعبية بين الأهالي المحتشدين خارج نوافذ المدرسة، كما لاقت تمارين الرياضة جمهورًا لا بأس به، لما وجده فيها من تسلية عظيمة.

وفي داخل هذه المدرسة كانت ضريبة النجاحات والسمعة الطيبة والشعبية بعض المشكلات بالطبع. فبعد أشهر قليلة لاحظ المدير «حافظ وهبة» وزملاؤه المدرسون كثرة زيارات رجالات الوكالة السياسية البريطانية. ومع تكرارها بصورة ملحوظة وإحضار المترجمين العرب في تلك الزيارات، أيقنت إدارة المدرسة أن هذه الزيارات ليست حبًّا في المدرسة ولا في معرفة مستوى التلاميذ، كما كان يقال لهم دائمًا، بل للتجسُّس على ما يقوم به المدرسون العروبيون من تعليم وتربية ومراقبة دروس التاريخ وبقية الدروس الأخرى المشحونة بالوطنية والقومية.

وأمام ذلك لم تجد إدارة المدرسة حلًّا غير التهرُّب من موظفي الوكالة البريطانية بأية طريقة ممكنة، ومنعهم بأية وسيلة من حضور حصص المدرسة. فوقتها لم تكن إدارة المدرسة في ظل تلك الظروف الصعبة قادرة على طردهم أو منعهم من دخول المدرسة.

وبسرعة يتفاهم المدرسون مع التلاميذ حول طرق التهرُّب وأساليب المنع. وفي كثير من الأحيان نجحت معظم تلك الخطط، والتي كان أشهرها على الإطلاق إغلاق أبواب الفصول عند سماع المدرسين أصوات الزائرين البريطانيين، وعند قرع الباب من قِبلهم

يفتح المدرس الباب قليلًا بهدوء ويهمس في أذنهم بتصنع واضح قائلًا: إن لدى التلاميذ الآن امتحانًا شهريًّا هامًّا فأرجو المعذرة لعدم استطاعتي إدخالكم! وبالإضافة إلى مشكلة الزيارات البريطانية التجسسية، ظهرت في المدرسة مشكلات أقل أهمية. فمنذ افتتاح المدرسة حُظر على جميع المدرسين ارتداء اللباس الإفرنجي المتمثل بالبدلة (البنطلون والقميص وملحقاتهما)، وأُجبروا بسبب العادات والتقاليد ـ وأيضًا كي لا يستثمر المعارضون هذا اللباس الغريب ـ على ارتداء الملابس العربية المحلية، المتمثلة في الثوب والغترة والعقال والبشت أيضًا. وحدث ذات يوم أن حضر إلى المدرسة مدرس مصري جديد اسمه «جلال رستم» وراح في اليومين الأولين له في المدرسة في ارتداء اللباس الإفرنجي. وبالطبع فقد أثار هذا اللباس الغريب دهشة التلاميذ واستغرابهم، حتى ظنوا أنه مدرس «نصراني» ويجب طرده بالتالي من المدرسة! لكن المشكلة حُلّت بعد يومين فقط عندما ارتدى «رستم» الثوب والبشت كباقي المدرسين والتلاميذ.

وكانت كل مشاكل المدرسة الصغيرة، مثل عدم الالتزام بزيّ المدرسة والنظافة وحل الواجبات، كلها كانت تهون على إدارة المدرسة، إلّا يوم الأربعاء المنحوس! فوقتها كانت غالبية الأسر البحرينية تعطي أولادها دواء البطن الشعبي المشهور في البحرين باسم (الحَلُول) كل يوم أربعاء، الأمر الذي لا يستطيع فيه التلاميذ بعد تناوله الحضور إلى المدرسة. وسجلت دفاتر المدرسة في تلك الأيام أرقامًا وأسماء لا تُعدّ ولا تُحصى في الغياب يتجاوز في الكثير من الأحيان الحدود المعقولة للغياب العادي.

وأما هذه المشكلة فلم تجد إدارة المدرسة أمامها من خيار سوى محاربة هذه العادة بشتى الوسائل. فقد قام المدرسون بإلقاء

الكثير من الكلمات والنصائح حول مضارّ وأخطار تناول مثل هذه الأدوية الشعبية، وكانوا ينجحون قليلًا ويخفقون كثيرًا. وبالطبع فقد استثمر الكثير من طلاب المدرسة الكسالى يوم الأربعاء للهروب والتغيب، حتى ولو لم يتناولوا (الحَلُول)، والنجاة من عقاب عدم حفظ الدروس المطلوبة.

وبعيدًا عن مشكلات المدرسة القليلة، غرق بعض مدرسي الهداية العرب في حياة البحرين السياسية والثقافية والاجتماعية، فاشترك بعضهم في الحوارات الساخنة التي كانت تدور آنذاك في مجالس المحرق والمنامة حول الأوضاع العربية الهامة وقتها، كوعد (بلفور)، وثورة 1919م المصرية، ونفي الزعيم المصري سعد زغلول، وثورة العشرين في سوريا.

وانغمس آخرون في الحياة الثقافية، ووجد بعضهم البحرين فرصة لتنمية مواهبهم الثقافية والفنية أيضًا. فبينما نشط «حافظ وهبة» و«عثمان الحوراني» على الصعيد الوطني والاجتماعي، وجد المدرسان السوريان «محمد الفراتي» و«زكريا البيات» الفرصة في إثبات وجودهما بوسائل أخرى.

ورغم أن «الفراتي» كان من ثوّار سوريا في بداية العشرينيات وله اهتماماته السياسية والوطنية، إلّا أنه ومنذ استقراره في البحرين لعدة سنوات كمدرس في مدرسة الهداية، راح يركز على الشعر ويكتب القصائد. وفي البحرين كتب «الفراتي» أشعارًا كثيرة حول النهضة والتعليم وأحوال العرب، كما لم ينس البحرين بالطبع. فقد نظم قصيدة «وقفة على الجابور» والتي كانت مصيفًا فيما مضى، عندما دعاه الشاعر والأديب المعروف الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة لزيارته في بيته في منطقة «الجابور» و«الساحلية» فقال تلك القصيدة:

ومن عجب أن الشآم مواطني ... ولي فيهمو أهلي ومنهم لي الودُّ
ويأسرني من بالمحرق دارُهُ ... ومن دارُهُ إما الصخير أو الحدُّ
منازل في البحرين يرفع سمكها ... بها الكرم الفياض والحسب العدُّ
لكل مليك يملك الحر لفظُهُ ... وكل أمير في الندى ما له نِدُّ
إذا ما قدحت الفكر في كنه ذاتِهِ ... علمتَ يقينًا أنه الجوهرُ الفردُ
عرفت لإبراهيم غرَّ خلائقٍ ... هي المسك بل أذكى شذًا أو هي الوردُ
خلائق أصفى من مدامع مُزنَةٍ ... يمازجها من حلو ألفاظه الشهدُ
أخو ثقة باقٍ على العهد عمرَهُ ... وأكثر هذي الناس ليس له عهدُ
حمدت زماني بعد معرفتي به ... وللدهر بعد اللّه قد يجب الحمدُ
صفا لي محض الود منه وقلّما ... صفا لي على العلات من غيره الودُّ
دعاني إلى «الجابور» أمس فخف بي ... إليه الهوى اليقظان عجلان يشتدُّ
وقفت بذات الربع وقفة والِهٍ ... أهاب به وجدٌ ولجَّ به وجدُ
فقلت وملء العين رائع حسنها ... هنا جنة الفردوس بل ها هنا الخُلدُ
أخلَّاي بالبحرين إن البعادَ هو الصدُّ ... ولو حال ما بيني وبينكمُ السدُّ

أما المدرس «زكريا البيات» فلم يكن يهوى لا السياسة ولا الشعر، بل العزف على آلة الكمان. وكان «البيات» يعرف خطورة هذه الهواية التي تؤدي بصاحبها في تلك الأيام، وفي ظل ذلك المجتمع المحافظ، إلى اتهامه بالكفر، وربما المساهمة في نشر الفساد. ولذلك كان «البيات» هو الوحيد تقريبًا الذي كان يخفي هوايته ولا يمارس العزف إلَّا في غرفة جيدة الإغلاق في بيته بالمحرق.

ولم يقوَ البيات على إخفاء سرّ ولعه بالكمان إلى الأبد، فكان يقيم حفلات سرية خفية وصغيرة جدًّا في داره يعزف فيها ما يشاء. وعندما أحس أن أحد تلامذته وهو «عبدالعزيز الشملان» تلميذ مثقف ونجيب أطلعه على هذا السرّ الخطير، بل وأهداه صورة فوتوغرافية له وهو يعزف الكمان وعليها إهداء متواضع.

وعلى الجانب الآخر، كبر العالم الجميل لتلاميذ الهداية بعد مرور سنتين منذ انضمامهم إليها، ومعه ازدادت المعارف والعلوم، وتنوعت أنشطة وفعاليات المدرسة، وازدادت ثقتهم بأنفسهم وبمدرستهم، خاصة عندما انتقلوا إلى مبنى المدرسة الجديد، وأصبح التلاميذ بعد ذلك وكأنهم تلاميذ جدد وفي مدرسة جديدة تمامًا.

ففي الصباح الباكر راح التلاميذ ينشدون بعض الأناشيد، مثل نشيد يقول مطلعه:

«نحن أزهار الشبيبة.. نحن أحرار البلاد»

ونشيد آخر يقول:

يا ربنا يا ذا المنن أكثر مدارس الوطن
وأجزل الأجر لمن يعين في هذا السنن
وكن لكل العاملين في رفع شأن المسلمين
خير نصير ومعين
حتى يفوزوا في المآل يا ربنا يا ذا الجلال
يا من تسامى في الكمال احفظ لنا يا متعال
خير مليك في أوال

خـيـر مـلـيـك قـد ظـهـر كـالـغـيـث فـي نـفـع الـبـشـر
والـشـمـس فـي حـسـن الأثـر والـزهـر فـي طـيـب الـخـصـال

ونشيد ثالث يقول مطلعه:

«شبابنا للحروب وشيبنا للخطوب فقيام وقعود في سبيل العرب»

وبعد أناشيد الصباح والطابور الصارم الذي يتم فيه التفتيش على كل شيء، ينتظم التلاميذ في الصفوف الجديدة، وتبدأ رحلة ممتعة أخرى أكثر رقيًا تبدأ بقواعد اللغة الإنجليزية وتضاريس الجغرافيا وحسابات الأرقام وحكايات التاريخ التي لا تنتهي.

ومع لذة الدروس نشأت بين التلاميذ والمعلمين علاقة اختلطت فيها مشاعر الصداقة والمودة بالمبادئ الوطنية والقومية والأنشطة والفاعليات المدرسية المتنوعة.

ففي المبنى الجديد، بساحاته الكبيرة وفصوله الواسعة، وجد التلاميذ فرصة أفضل لممارسة أنشطتهم وتحقيق جزء من طموحاتهم. فمنذ الأيام الأولى برزت موهبة الخطابة لدى بعض التلاميذ، وبتشجيع أساسي من المعلم عثمان الحوراني الذي أعد منصَّة خطابة وأخبر التلاميذ أنها مفتوحة لأي واحد منهم ليتدرب على الخطابة بعد نهاية الحصص الصباحية. وبسبب ذلك تشجع التلاميذ وراحوا يلقون قطعًا يحفظونها من المحفوظات أو أناشيد أو خطاب وطني حماسي، والكل يتنافس في إظهار موهبته، وبعض التلاميذ استغلوا الفرصة لإلقاء قصائد يحبونها لعنترة والمتنبي، وقصائد مصرية حماسية كانوا يقرؤونها في الصحف.

ومع ازدياد وعي التلاميذ، وخصوصًا بعد مداومتهم على قراءة

أول مدرسة نظامية أقيمت في البحرين سنة 1919م (مدرسة الهداية الخليفية للبنين) المحرق

الصحف القادمة من مصر والشام في مكتبة النادي الأدبي بالمحرق أو في بعض المجالس الثقافية، وجد التلاميذ أنفسهم يطلبون المزيد. لذلك طلبوا، وبدون تردد، من بعض المدرسين إلقاء محاضرات مصغرة، وبالذات حول الثورات العربية المشتعلة آنذاك في مصر وسوريا والعراق وغيرها.

وبالطبع كان أكثر هذه «المحاضرات» إثارة وحيوية هي تلك التي يتبرع بإلقائها المعلم «الحوراني» فوقتها كان الاستعمار هو الشغل الشاغل له. وفي إحدى المرات وقف «الحوراني» مخاطبًا التلاميذ قائلًا: «الاستعمار في كل الدنيا لا توجد له أية محاسن، ولكن بينه فروقات، فمثلًا: نحن أمام استعمار فرنسي، وأنتم أمام استعمار بريطاني، والفرق بينهما أن الفرنسيين يتدخلون في كل شيء حتى في الدين واللغة. أما البريطانيون فهم أيضًا يتدخلون في جميع شؤون البلاد ويتحكمون فيها، ولكن ليس في اللغة والدين. والفرق هنا أن الاستعمار الفرنسي يشنقنا بحبل من ليف، بينما الاستعمار البريطاني يشنقكم بحبل من حرير، والنتيجة واحدة: هي الموت.

بجانب الخطب والمحاضرات، استثمر بعض التلاميذ في مدرسة الهداية بالبحرين أوقات فراغهم في كتابة المقالات السياسية والثقافية، وبرز في هذا المجال التلميذان: عبد العزيز الشملان وعبد الرحمن المعاودة بشكل خاص.

ففي مناسبات كثيرة راح التلميذان يكتبان بعض المقالات حول الأوضاع في البحرين والتدخلات البريطانية الجائرة في شؤونها، وكانا يكتبانها باليد اليسرى، كي لا يعرف موظفو الوكالة البريطانية الذين يراقبون الرسائل البريدية خطوطهما، ويرسلانها

بالبريد إلى بعض الجرائد المصرية. كانت بعض الرسائل تصل، وبعضها لا يصل بسبب مصادرة الوكالة البريطانية، وبعضها يُنشر وبعضها لا يُنشر.

ومع وجود المعلم الوطني (الحوراني) راح التلميذان يستفيدان من تشجيعه وخبرته ومعارفه. ففي كل مرة راحا يعرضان المقالات عليه ليصححها لغويًّا، ويعطيهما بعض توجيهاته في طريقة كتابة المقال وموضوعه وفقراته. وفي بعض الأحيان يوجههما في مسألة إرسالها إلى الصحف؛ فيرى أن هذه الجريدة مثلًا لن تنشر هذا المقال، أما الجريدة الثانية ففيها أمل كبير، أما الثالثة فيمكن أن تنشر ويمكن أن لا تنشر. وكانت توقعاته دائمًا صائبة بسبب معرفته بالصحف وهويتها.

وفي إحدى المرات كتب الشملان والمعاودة مقالًا ناريًّا بعنوان «فعل الرجعية في البحرين»، وكانا يقصدان أفعال الرجعيين الذين يحاربون التعليم ومدرسة الهداية، وفي هذا المقال شنَّ التلميذان هجومًا عنيفًا على هؤلاء. وبعدما انتهيا من كتابته أخذاه إلى (الحوراني)، وفور انتهائه من قراءة المقال قال لهما ناصحًا: أرى أن من الصعوبة نشر هذا المقال.. وليس ذلك بسبب الهجوم العنيف، ولكن أرى أنه لا الجرائد المصرية ولا السورية تستطيع نشره لسبب بسيط: هو أن هذه البلدان تجاوزت المرحلة التي تعيش فيها البحرين، فالتعليم عندهم وصل إلى مراحل عالية جدًّا وهم متقدمون عنكم كثيرًا.

لكنه رغم ذلك قام ببعض التصليحات في المقال ليجعله عامًّا حول التخلف والرجعية، حتى أصبح مناسبًا ويمكن نشره، وبالفعل أرسله التلميذان، ونُشر في جريدة (البلاغ) المصرية.

وأكثر من المقالات، تشجع بعض التلاميذ، وعلى رأسهم الشملان، لإنشاء جريدة الحائط، تُعلَّق في فناء المدرسة الرئيس. وبالطبع شجع الحوراني الفكرة وتقدم بها إلى إدارة التعليم، وكان الرد كما توقع: الرفض القاطع.

أما السبب فقد عرفه الحوراني عندما ذهب إلى أعضاء الإدارة لمناقشتهم في الموضوع حيث قالوا له بصراحة: إياك يا أستاذ عثمان. إن الإنجليز سوف يقفلون المدرسة بالشمع الأحمر، بل وسترون الشرطة الإنجليزية واقفة على أبواب المدرسة حالما تسمع أننا وافقنا على هذه الجريدة! واقتنع الحوراني بهذا التبرير الذي يرفض المغامرة بوقف مشروع حضاري كبير من أجل جريدة حائط يمكن تعويضها بأي نشاط آخر!

وكانت النشاطات الأخرى التي فكر فيها الحوراني وزملاؤه المعلمون هي إنشاء جمعيات طلابية.

وبالفعل أقيمت في المدرسة جمعيتان، واحدة اسمها (جمعية العروة الوثقى)، وكانت لها أهداف ثقافية وتمارس بعض الأنشطة الرياضية. أما الجمعية الثانية فكان اسمها (جمعية الشرف).

وفي هذه الجمعية التي حشدت لها إدارة المدرسة كل إمكانياتها، كان شرط العضوية الوحيد للتلاميذ أن يكونوا من المتفوقين، وأن يكونوا من الحاصلين على مجاميع 80 % فأكثر، ولا يوجد هناك شرط آخر.

وكان المهم طبعًا بالنسبة لجمعيات الشرف أن يجتهد التلاميذ في دروسهم وأن يتنافسوا على التفوق لكي يصبحوا أعضاء في الجمعية، وهذا كان هدفًا رئيسًا لها.

أما أنشطتها الأخرى فكانت مساعدة المدرسين في بعض احتياجاتهم كالبريد وغيره، ومرافقة ومساعدة رجالات الفكر والسياسة العرب الذين كانوا يزورون البحرين آنذاك، وتقديم الخدمات إلى المجالس الثقافية الكبيرة في المحرق، مثل: إيصال وإرسال البريد وغير ذلك.

كما عملت (جمعية الشرف) على تقديم بعض الأعمال الخيرية، مثل: مساعدة تلاميذ المدرسة الفقراء، حيث راح تلاميذ الجمعية يجمعون التبرعات والإعانات وقاموا بإنشاء صندوق خاص تمكن في فترات كثيرة من شراء الثياب للفقراء، فهذا التلميذ يحتاج إلى (بشت)، وذاك يحتاج إلى حذاء، وهكذا لم تترك فقيرًا إلّا وساعدته.

وخارج هذه الأنشطة والفعاليات والجمعيات، حولت إدارة مدرسة الهداية الامتحانات النهائية التي كانت تقام في نهاية الفصل الدراسي إلى مناسبة عظيمة وإلى احتفال ضخم.

ففي تلك الأيام وجدت المدرسة أفضل عمل يجب القيام به لإخراس أصوات المعارضين للمدارس الحديثة هو الامتحانات.

وبالفعل كان يوم الامتحان في مدرسة الهداية يومًا عظيمًا في البحرين. فمنذ الصباح الباكر يقوم التلاميذ والفراشون والأساتذة أنفسهم بوضع كراسي الفصول في ساحة المدرسة الكبرى، وبالطبع يجري الترتيب والتنظيم، وكأنهم سيقيمون احتفالًا صاخبًا. وفي هذا الاحتفال أو الامتحان يلبي جميع المدعوين الحضور بامتنان كبير فيحضر كبار أفراد الأسرة الحاكمة، وعلى رأسهم حاكم البلاد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، ومدير مجلس المعارف الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة، ومسؤولو وموظفو الوكالة السياسية

البريطانية في البحرين، والمستشار البريطاني، وكبار الشخصيات، ومثقفو البلاد ورجال الدين، وبالطبع أولياء أمور التلاميذ.

ويبدأ الامتحان أو الاحتفال بخطب يلقيها مدير المدرسة ومدير المعارف، وكلمة من التلاميذ، ويبدأ الامتحان الشفوي على مرأى من جميع الحاضرين والضيوف الذين كان يحق لأي واحد منهم توجيه أي سؤال في المادة التي يمتحن فيها التلميذ، وعلى التلميذ أن يجيب عن ذلك السؤال بالطبع!

وبينما كانت شخصيات البحرين ورجالاتها تشعر بالفخر والاعتزاز للمستوى الحضاري للمدرسة، وبنبوغ التلاميذ ووصولهم إلى هذا المستوى الرفيع، كان التلاميذ المساكين يشعرون بمهابة كبيرة وهم يجيبون على جميع الأسئلة الصعبة والسهلة أمام هذا الحشد الكبير من الحضور، الذين كانوا يتجاوزون ثلاثمائة شخص.

وبسبب هذه المهابة كان كثيرًا ما يُحرج التلاميذ ويتلعثمون في الإجابات، كما كانت تحدث بعض الطرائف، منها مثلًا بعض الأسئلة الساذجة التي كان يسألها بعض نواخذة الغوص المداومين على حضور جميع احتفالات الامتحانات، والتي يوجهونها للتلاميذ بدون قصد طبعًا.

وبعد نهاية الامتحان وانتهاء جميع الأسئلة سواء من المدرسين أو من الحضور، يقوم مدير المدرسة وأعضاء مجلس المعارض بتوزيع الجوائز على المتفوقين والناجحين. وكان الأهم بالنسبة للتلاميذ في ذلك اليوم، وخصوصًا بعد انتهاء هذه الرهبة أمام الحضور الكبير، هو الحصول على مجموعة هدايا قيّمة، مثل: الأقلام والساعات وهدايا جميلة أخرى يقدمها بعض كبار الشخصيات الذين يضطرون مجاملة للاحتفال الكبير بأن يحضروا الهدايا الثمينة.

وعلاوة على الهدايا الثمينة في احتفالات يوم الامتحان، سنّت مدرسة الهداية عادة حميدة من عاداتها الكثيرة. فكان المدرسون يوزّعون على التلاميذ بين فترة وأخرى بسبب تفوقهم في الدراسة أو الأنشطة الطلابية بالمدرسة ما كان يعرف بـ (وسام الامتياز).

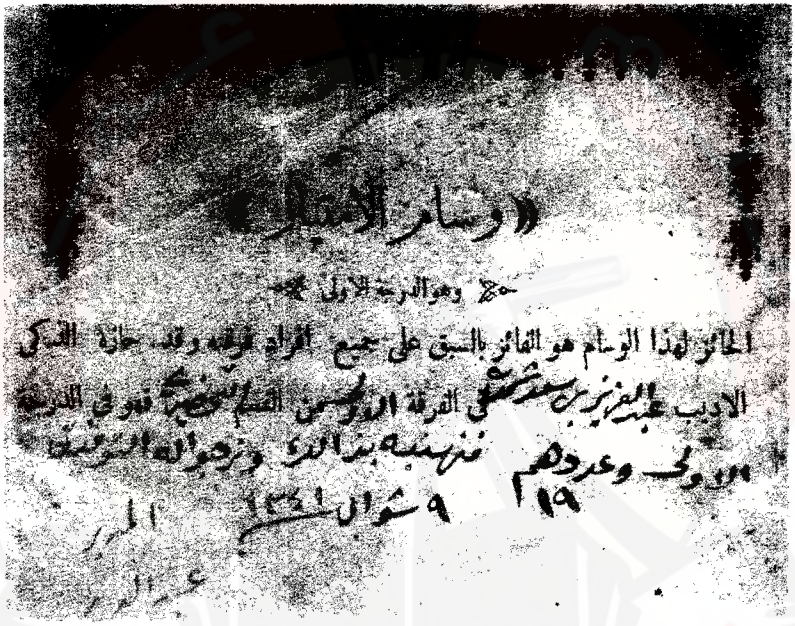

وكان كثيرًا ما يتباهى التلاميذ بين أنفسهم بحصولهم على عدد من أوسمة الامتياز، الذي كان عبارة عن بطاقة صغيرة مكتوب على وجهها الأول «وسام الامتياز» بالخط الكبير، ثم «هو من الدرجة الأولى، والحائز لهذا الوسام هو الفائز بالسبق على جميع أفراد فرقته. وقد حاز الذكي الأديب...» وهنا يكتب اسم التلميذ، ثم يكتب «فننبهه بذلك ونرجو له التوفيق» وبتوقيع مدير المدرسة. وعلى ظهر البطاقة كتبت آية كريمة، وحديث شريف، وبيتان من الشعر يقولان:

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيلُ

وعند انتهاء السنوات الأولى من عمر المشروع الحضاري الكبير: (مدرسة الهداية الخيرية الخليفية)، وهزيمة المعارضين لمشروع المدرسة والتعليم، شعر تلاميذ الهداية النجباء بأنفسهم وأول مرة ربما، وأحسوا بوضعهم الجديد والمختلف في المجتمع وبين الأهالي.

ففي السنوات الأولى من الدراسة فرض أولياء أمور التلاميذ حظرًا عليهم، فقد تم منعهم من التجول في الأسواق والاختلاط بجهلاء الناس، لكي لا يكتسبوا شيئًا من عاداتهم! والأهم أن يراجعوا دروسهم ويهتموا بكتبهم المدرسية فقط، مع السماح لهم بالاشتراك في الأنشطة الطلابية خارج المدرسة لأنها في نظرهم: راقية!

لكن بعد انتهاء السنوات الأولى، وحصول مدرسة الهداية على شهرة كبيرة في البحرين، وسمعة طيبة بين الأهالي، راح أولياء الأمور يسمحون لأولادهم التلاميذ بالتجول كيفما شاؤوا، والخروج متى أرادوا، خاصة بعد إحساسهم بالفخر بأن أولادهم هم تلاميذ الهداية.

وهكذا ومع الوقت، شعر تلاميذ الهداية باحترام وتقدير الناس لهم، بل وتميزهم عن باقي البشر، بعلمهم وثقافتهم الواسعة وثيابهم النظيفة والأنيقة التي يحسدهم الجميع على ارتدائها.

وعلى عكس المتوقع، لم يُصَب التلاميذ بالغرور، ولم يُبدوا أي تعالٍ على الناس، بل أظهروا تواضعًا كبيرًا وأخلاقًا رفيعة.

وكان من عادتهم حين يذهبون إلى سوق المحرق أو إلى أي مكان عامّ أن يترافقوا في جماعة كبيرة تصل إلى ما بين 15 إلى 20 تلميذًا، وفي كل مرة يذهب التلاميذ إلى الأسواق يصيح المارة: «أفسحوا الطريق.. أفسحوا.. أمامكم تلاميذ المدرسة». وبالفعل كان الناس يفسحون الطريق أمامهم بكلّ احترام، ويجعلونهم يشترون ما يريدون في أسرع وقت ممكن.

وخارج الأسواق، كان تلاميذ الهداية معروفين جدًّا من أهالي المحرق، ففي أي مكان يذهبون إليه يشير الجميع إليهم قائلين: «ها هم تلاميذ الهداية جاؤوا».

وعندما يريد التلاميذ في أيام العطل والإجازات السفر من المحرق إلى المنامة، يذهب التلاميذ إلى سفن (العبّارات) التي كانت تنقل الركاب بين الجزيرتين قبل إنشاء الجسر البري. ورغم أن (العبّارات) كانت في معظم الأوقات غاصّة بالركاب، إلّا أن تلاميذ الهداية المشهورين تُعطى لهم الأفضلية، فيُفسح لهم المجال للركوب في المراكب قبل غيرهم، بل ويتنازل بعض الركاب عن أماكنهم أحيانًا احترامًا لتلاميذ الهداية النجباء.

ومع هذا الاحترام الكبير الذي كانوا يلاقونه في كل مكان، والذي كانوا يستحقونه فعلًا، إلّا أنه أيضًا كان يثير الغيرة والحسد لدى البعض.

فمن الطبيعي أن يثير كل ذلك شيئًا من غيرة بعض الأهالي، فبعض الكبار كانوا ينظرون للتلاميذ بحسد ظاهر، والسبب أن هذا الزمن أعطى هؤلاء التعليم والثقافة والاحترام، بينما الزمن الذي كانوا فيه أطفالًا وشبابًا لم يعطهم شيئًا على الإطلاق سوى الاشتغال بمهنة البحث عن اللآلئ.

أما الشباب فكانوا يشعرون وهم ينظرون إلى تلاميذ الهداية بشعور الأسى والحزن، لأن آباءهم الجهلاء منعوهم حقهم في التعليم والدراسة.

وفي جانب آخر، ومع نظرات الحسد والأسى، كان يشعر تلاميذ الهداية على الدوام أن ملابسهم النظيفة والأنيقة ليست محل حسد البعض فقط، بل إنها محل الهجوم والنيل من شخصيتهم!

ففي تلك الأيام لم يكن موجودًا في البحرين سوى تلاميذ (الكتاتيب) الذين كانوا لا يهتمون بنظافة ثيابهم وأناقتها، ولذلك هاجم بعض الجهلاء تلاميذ الهداية، ووصفوا مظهرهم بمظهر الفتيات المتأنقات، وليس بمظهر الرجال؛ لأن النظافة والأناقة مما تعيب الرجل ورجولته في نظرهم!!

ورغم كل شيء، ورغم كل النظرات المختلفة والهجوم الظالم، إلَّا أن تلاميذ الهداية لم يبالوا إطلاقًا بكلِّ ذلك، بل إن الكثيرين منهم لم يكونوا يعرفون مغازي هذه النظرات إطلاقًا!

وعلى عكس هذه اللامبالاة، وبكثير من الجدية والفخر والوعي، أنهى «عبدالعزيز الشملان» وزملاؤه من «تلاميذ الهداية النجباء» أحلى سنوات عمرهم في المدرسة التي تركت في ذاكرتهم الكثير من الذكريات والحكايات، واحتلَّت في أذهانهم شرائط من الحوادث، ومئات الأيام من الرفقة التي استمرَّ نبضها في الفصول الدراسية والأزقة والمجالس.

بكاء في المحرق
لوفاة مصطفى كامل وتبرعات
لعمر المختار في بدايات القرن العشرين

البحرين تناصر القضايا العربية!

في مساء 12 فبراير/شباط 1908م ركض الشاعر والمثقف البحريني، قاسم الشيراوي، بسرعة إلى أصدقائه في مجلس الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، المثقف والشاعر الشهير، بمجلسه في مدينة المحرق، واندفع إلى المجلس وهو يجهش بالبكاء قائلًا: «اليوم جاءت برقية من مصر بوفاة مصطفى كامل». كان الخبر مؤلمًا للمثقفين والشعراء، وعبّر رواد المجلس عن ألمهم لذلك فقاموا بتعزية بعضهم البعض[1].

وقبل بكاء الشيراوي الحارق وتعزية المثقفين بوفاة مصطفى كامل بسنوات، أظهر البحرينيون في بدايات مبكرة من القرن العشرين وبالتحديد في العقدين الأول والثاني، حماسهم وتعاطفهم ودعمهم لجميع القضايا القومية العربية والإسلامية.

فمنذ أن بدأت رياح حركات الإصلاح والتنوير التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وصدور أولى الصحف العربية

(1) تقرير الوكالة البريطانية؛ لعام 1914م.

المكافحة ضد الاستعمار، أمثال العروة الوثقى وغيرها، كانت طلائع مثقفي البحرين يتداولون تلك الأفكار التحريرية والقومية بسرّيّة في البداية، ثم علانية مع انتشارها وتعزيز مواقعها.

الشيخ إبراهيم آل خليفة

ووجدت أفكار القومية العربية والوحدة العربية والنهضة العربية تعاطفًا كبيرًا لدى المثقفين البحرينيين الذين وجدوا في الصحف العربية، أمثال «العروة الوثقى» و«الهلال» و«المنار» وغيرها من صحف التنوير، تعبيرًا عن تلك الآراء، وأظهروا - كمثقفين - تعاطفهم معها عبر الكتابة لتلك الصحف ومراسلتها.

وخارج الورق والحبر وأحاديث المجالس الثقافية، نشط بعض المثقفين والتجار البحرينيين في دعم القضايا العربية والإسلامية على الأرض.

ففي عام 1912م تنشر مجلة «المنار» الصادرة بالقاهرة والتي يرأس تحريرها الشيخ رشيد رضا نداءً للجهاد في ليبيا ضد القوات الإيطالية الغازية، وجّهه المجاهد الليبي، أحمد بن محمد الشريف السنوسي، للأمة العربية والإسلامية يدعو فيه العرب والمسلمين إلى التبرع بالمال من أجل الجهاد.

ويستجيب التاجر البحريني وهو أحمد عبداللّه المنصور، كما يقول المؤرخ البحريني مبارك الخاطر، إنه التقى المجاهد السنوسي في مكة بعد أعوام من التبرع السخي، وقال له: «تعال أحكي لك عن مساعدتكم لي ولأصحابي الليبيين في مقاتلة الإيطاليين الغزاة. أجل تلك المساعدة التي أرسلها نيابة عنكم جميعًا تاجركم المحسن عبدالعزيز لطف اللّه علي، وكتب لي إنها مساهمة منه ومن أهل البحرين.

ثم سألني قائلًا: أتعرف الحاج عبد العزيز؟

قلت: نعم إنه جاري.

فقال: أقرئه مني السلام واشكره واشكر أهل البحرين جميعًا.

ثم تابع حديثه قائلًا: لقد وصلتنا إعانتكم هذه وقدرها خمسمائة

ليرة ذهبية ونحن في أمسّ الحاجة إلى مثلها في قتالنا للكفرة الطليان. فجاءت إعانتكم هذه في محلها وزمانها. ولن تمحى من مخيلتي صورة ذلك الفارس القادم من صحراء مصر الغربية الذي جيء به إلى خيمتي، وهناك دفع إليَّ صرة الليرات الذهبية ومعها كتابان: أحدهما من المحسن الحاج عبدالعزيز لطف اللّه علي وآخر من وكيله في مصر»[1].

وفي بداية عام 1913م تنشر إدارة وكالة البحرين السياسية تقريرًا سريًّا عن أوضاع البحرين تقول في بعضه: «لقد استمرت الحرب في طرابلس بين الليبيين والإيطاليين في مواصلة اهتمام البحرينيين والعرب هنا. ففي بداية هذا العام افتتحت في البحرين حملة اكتتاب لجمعية الهلال الأحمر ولمساعدة متضرري المجاهدين المسلمين في ليبيا. وقد جُمع المال شخصيًّا بواسطة التاجر النجدي مقبل عبدالرحمن الذكير والتاجر المحلي يوسف كانو، ومن المتوقع أن تستطيع حملة التبرعات جمع مال يقدر بـ 28 ألف روبية. وقد استطاع متزعمو حملات التبرع إرسال مبلغ 20 ألف روبية نقلت إلى طرابلس عبر مصر. ومن الواضح أن الحملة لليبيين تظهر حماسًا كبيرًا، وأن هناك عزمًا واضحًا لجمع أكبر قدر من المال»[2]. ويوضح التقرير البريطاني بشكل جليّ حماس أهل البحرين الكبير في دعم القضايا القومية واستمرارها لعدة سنوات في تقديم الدعم، حيث جاء نضال المجاهدين الليبيين بقيادة عمر المختار آنذاك فرصة لإظهار الدعم المعنوي والمادي.

كما يبين التقرير والتقارير اللاحقة أن المثقف والتاجر النجدي، مقبل الذكير، كان كثيرًا ما يتزعم حملات تبرع لقضايا عربية أو

(1) مبارك الخاطر؛ دراسة في **مجلة المواقف**؛ نوفمبر/تشرين الثاني 1983م.

(2) تقرير وكالة البحرين السياسية لعام 1912م؛ مكتب الهند؛ المكتبة البريطانية؛ لندن.

إسلامية، وهو تعبير عن تلاحم وثيق بين البحرينيين والنجديين الذين كان الكثير منهم يقيمون في البحرين ويعتبرون أنفسهم بحرينيين.

ويُظهر المبلغ، وهو 28 ألف روبية، وهو مبلغ ضخم آنذاك،أن حملة الاكتتاب للمجاهدين الليبيين في البحرين لاقت نجاحًا كبيرًا بين البحرينيين وباقي العرب، وخصوصًا النجديين منهم.

ومع بدء الحرب العالمية الأولى عام 1914م يُظهر الشارع البحريني تعاطفًا واضحًا مع الدولة العثمانية التي اختارت الدخول في الحرب ضد الإنكليز وحلفائهم.

ويقود مثقفو البحرين، ومعهم تجار ومثقفون نجديون مقيمون في البحرين، حملات كبيرة للتبرع لصالح الأتراك تثمر عن جمع مبالغ نقدية كبيرة.

ويشير تقرير بريطاني أن حملات تبرعات قادها تاجران نجديان في البحرين حققت نجاحات كبيرة. فقد قاد التاجر والمثقف النجدي المعروف مقبل الذكير حملة تبرعات في مدينة المحرق، بينما قاد التاجر النجدي الآخر سليمان الحمد البسام حملة تبرعات في مدينة الحدّ، أسفرت الحملتان عن جمع مبالغ كبيرة للأتراك ـ ولم يذكرها التقرير تحديدًا ـ وتم إرسالها بواسطة الذكير[1].

ووقفت البحرين مع ثورة الريف في المغرب، التي قادها الزعيم الوطني المغربي الشهير عبدالكريم الخطابي ما بين 1919م و1925م.

وكشفت مجلة «صوت البحرين» في نعيها للتاجر والمحسن البحريني الحاج عبدالعزيز لطف اللّه العوضي أنه كان ـ أي العوضي ـ

(1) **البحرين في الحرب العالمية الأولى**، دراسة: خالد البسام، 2001م.

صديقًا لزعيم ثورة الريف وقالت: «ومن طريف ما يُذكر أن المرحوم كان من أصدقاء زعيم الثورة المغربية الأمير عبدالكريم الريفي الذي كتب في مذكراته يقول: استطعت أن أحارب الفرنسيين خمسة عشر يومًا بالمال الذي وصلني من الحاج عبدالعزيز العوضي، مساعدة منه للمجاهدين المغربيين»[1].

عبد العزيز لطف علي خنجي

(1) مجلة «صوت البحرين»؛ العدد 3؛ ربيع الأول 1370هـ/ديسمبر/كانون الأول 1950م؛ ص 31.

ومن الواضح أن كل ذلك التضامن مع القضايا العربية كان يقابله غضب واستياء من جانب سلطات الاستعمار البريطاني الحاكمة آنذاك في بدايات القرن العشرين.

لكن هذا الغضب والاستياء البريطاني لم يمنع البحرينيين ورفاقهم العرب المقيمين في البلاد من مواصلة الدعم والتضامن، بل زاد في أشكال التضامن، وخاصة مع قضية فلسطين في السنوات اللاحقة.

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

عمل
ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

تشارلز بلجريف
أشهر مستشار بريطاني في الخليج

هذه هي البحرين إذن

بعد خدمة عدة سنوات في الجيش البريطاني قضاها متنقلًا بين السودان وفلسطين ومصر وتنجانيقا (تنزانيا الآن) وجد الشاب الإنجليزي «تشارلز بلجريف» نفسه فجأة بلا عمل في بدايات عام 1925م!

ورغم البطالة القصيرة التي قضاها «بلجريف» بمنزله في لندن فوجئ في أحد الأيام بإعلان صغير في جريدة «التايمز» بزاوية الوظائف الشاغرة.

يقول: «مطلوب شاب يتراوح عمره بين 22 إلى 28 سنة على أن يكون جامعيًا أو أنهى الدراسة العامة وذلك للعمل في دولة شرقية، يعطى المرشح المناسب راتبًا جيِّدًا، ويجب أن يكون المتقدم لائقًا جسمانيًا، وله معارف كثيرون يمكن الرجوع إليهم، الطلاقة في اللغة العربية عامل مساعد للقبول، يرجى الكتابة إلى جريدة التايمز».

وفي الحال يتحمس «بلجريف» للوظيفة ويكتب إلى الجريدة فورًا، وبعد أيام قليلة تصله رسالة تتضمن أسئلة كثيرة عن شخصه،

وبعد الإجابة عليها يطلب لتقديم امتحان أو مقابلة ويلتقي هناك رجلًا بدا غير عادي ومليئًا بالنشاط وله لحية بارزة، وبعد أسئلة كثيرة، أخبره الرجل أن الوظيفة ستكون في البحرين الواقعة في الخليج العربي!

وبعد عدة مقابلات مع عدة مسؤولين في الخارجية البريطانية أعرب السير، آرثر باثرمان، المستشار السياسي لوزير الخارجية لشؤون الهند، عن قبول «بلجريف» لشغل منصب مستشار حاكم البحرين آنذاك الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة براتب قدره 720 جنيهًا إسترلينيًّا سنويًّا إضافة إلى علاوة شهرية مقدارها 15 جنيهًا.

تشارلز بلجريف في بيته بالمنامة

وبالطبع وافق بلجريف على هذا العرض المغري آنذاك، وقرر في الحال الالتحاق بمعهد الدراسات الإفريقية والشرقية بلندن لمدة ثلاثة شهور لتقوية حصيلته من اللغة العربية وكان يجيد التحدث باللهجة المصرية عندما عمل في مصر قبل سنوات.

وأكثر من ذلك راح «بلجريف» يقرأ كل شيء عن البحرين التي سمع عنها أول مرة، وزار وبحث في عدة مكتبات بريطانية للقراءة في بعض الكتب التي تتحدث عن البحرين والخليج بشكل عام.

وعندما انتهت الأشهر الثلاثة وصل «بلجريف» إلى البحرين في صباح يوم باكر من صيف عام 1926م. وبوصول المركب البخاري القادم من البصرة بدأ في البحرين تاريخ سياسي واقتصادي واجتماعي حافل سجَّله «بلجريف» في مذكراته التي صدرت في لندن قبل سنوات طويلة بعنوان «العمود الشخصي» والتي ترجمت في البحرين بعنوان «مذكرات بلجريف» للمترجم مهدي عبدالله.

وبالطبع لم يكن أحد يعرف ولا حتى بلجريف نفسه أن وصوله إلى هذه الجزر الهادئة سيتيح له المشاركة في صنع متغيرات هائلة على جميع الأصعدة. وأن الإحدى والثلاثين سنة التي قضاها ستصنع منه أهم وأشهر مستشار في منطقة الخليج لسنوات طويلة!

وصل «بلجريف» إلى البحرين في صباح باكر من أيام شهر رمضان، ويروي بنفسه الأيام الأولى من وصوله قائلًا: «مدينتا المنامة والمحرق كانتا نموذجين للمدن العربية الساحلية، كانت البيوت مشيدة من الصخور المستخرجة من البحر وقليل منها كان يتألف من طابقين أو أكثر. أما الأزقة والطرق داخل المدينتين فقد كانت ضيقة جدًّا ومتعرِّجة والدكاكين صغيرة ذات أبواب خشبية ولا توجد بها إلَّا بضائع قليلة ذات منشأ أوروبي.

وبعد أيام قليلة من وصولنا أخذني الميجور ديلي إلى المكاتب الحكومية وهي مبنى الجمارك ومكتب الشيخ والمحكمة. وكلها موجودة في بيتين آيلين للسقوط قرب الميناء، وكان معظم الموظفين والكتاب من الهنود العاملين تحت إشراف كلودي جير دينير، ضابط الجمارك الإنجليزي، أما مكتب الشرطة فقد كان موجودًا في قلعة خلف المدينة، فيما كان مركز الشرطة يقع وسط السوق بأحد الدكاكين، وفي ذلك الوقت لم يكن يوجد في البحرين سوى مدرسة واحدة يرأسها الشيخ حمد بنفسه وذلك حتى يضفي على القرارات التي يصدرها صبغة القانون. وكان لدى البعثة التبشيرية الأميركية مستشفى صغير يعمل فيه مساعد جراح ملحق بالوكالة البريطانية، وبه أسرّة قليلة في الطابق الأرضي من بيته ويحمل اسم مستشفى الملكة فكتوريا التذكاري، كما كانت طرقات المدينة غير معبدة، والطرق المؤدية إلى داخل الجزيرة يغلب عليها الطابع الصحراوي. أما البيوت فقد كان معظمها مسقفًا بسعف النخيل والحصر، وتسمى الحجرة الواحدة منها «برستي». أما الماء الذي يستخرج من إحدى الآبار التي تقع على بعد عشرة أميال من المنامة، فقد كان يباع بسعر مرتفع جدًا، إذ كانوا ينقلونه في «قرب» من الجلد على ظهور الحمير، ورغم هذه الظروف البائسة كان الناس أصحاء الأبدان وسعداء.. هذه هي البحرين إذن»!

وبعد لقائه مع حاكم البحرين آنذاك الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة يبدأ «بلجريف» أولى أعماله في وظيفة قاضٍ في محكمة البحرين المؤسسة حديثًا.

ووجد بعد تسلمه الوظيفة أن البحرين لم تكن فيها قوانين مكتوبة، بل كانت الأحكام تعتمد على الحدس والفطرة. ويروي

«بلجريف» في مذكراته وضع المحاكم قائلًا: «عندما قابلت الشخصيات الرئيسة في البحرين وجدت الوضع يشبه إلى حد كبير إحدى مسرحيات «شكسبير» فبدلًا من الملك والأمراء، يوجد الحاكم والشيوخ، وبدلًا من أساقفة الكنائس يوجد القضاة الدينيون الذين يشبهون في مظهرهم وفصاحتهم الشخصيات التي صورها شكسبير في مسرحياته. كانت القضايا لعدة سنوات تسمع في غرفة القاضي لكنني بعد افتتاح المحكمة الجديدة اقترحت أن نسمح لعامة الناس بحضور الجلسات، فوافق زملائي القضاة على الاقتراح، وتبدأ المحكمة عادة بارتشافنا للقهوة حيث يشرب كل واحد منا ثلاثة فناجين، ثم ننظر إلى القضايا التي يحررها علينا كاتب العدل الذي يجلس على الطرف، ويسجل أقوال الشهود والمتهمين. وفي تلك الأيام كانت معظم القضايا تتعلق بمشاكل الغوص، ولكي أتعامل مع هذه المشاكل قمت بوضع قانون للغوص يشمل جميع القوانين القديمة غير المكتوبة، بالإضافة إلى القوانين الجديدة غير المعروفة».

وفي اليوم الثالث من شهر أغسطس/ آب من عام 1926م وقع حادث خطير في البحرين. ففي ذلك اليوم قام شرطي بمحاولة اغتيال الطاغية البريطاني «ديلي» متأثرًا بالنقمة الشعبية ضد سياساته القمعية في البحرين. ويروي «بلجريف» محاولة الاغتيال قائلًا: «في اليوم الثالث من شهر أغسطس/آب من عام 1926م أطلق الرصاص على رئيس شرطة المنامة وهو رجل من الذين تمَّ تجنيدهم وتوظيفهم محليًّا وأصيب بجروح مختلفة بواسطة شخص مجهول. وفي اليوم التالي وقع إطلاق نيران على القلعة.. كانت زوجتي مارجوري في الحمام عندما سمعت فجأة ضربات الرصاص المتواصلة على نافذة الحمام تلتها صرخات واستغاثات.. فخرجتْ

بأسرع ما يمكن وجرت نحو الشرفة لتشاهد الميجور ديلي، الوكيل السياسي البريطاني، يقود سيارته بسرعة تجاه المدينة ورقبته مغطاة بقماش أحمر.. وفي الواقع، لم يكن ذلك قماشًا أحمر وإنما كان دمًا لكنها لم تتحقق جيدًا مما شاهدته!! وأرسلت «مارجوري» الطباخ وهو الخادم الوحيد في البيت لإبلاغي بالخبر!

جاء الخادم مسرعًا إلى مكتبي وقال لي وهو يلهث: هناك إطلاق نيران على القلعة. وعدد كبير من الناس تعرضوا لطلقات الرصاص. وعندما سألته: من الذي يطلق الرصاص؟ وعلى من يطلقه؟ لم يكن يعرف الجواب. فجريت بأقصى ما يمكن إلى القلعة وحينما اقتربت منها سمعت صيحات الناس وعويلهم، فاندفعت نحو منزلي لأرى إن كانت مارجوري سليمة أم لا، وبعد الاطمئنان عليها اتجهت نحو الثكنة العسكرية وعرفت حقيقة الأمر!

لقد كان الميجور ديلي يتحدث مع أحد الضباط الهنود في غرفة الأوامر العسكرية عندما اقتحم أحد الشرطة البلوش (واسمه إسماعيل) الغرفة من نافذة مفتوحة وأطلق الرصاص على الضابط في ظهره واخترقت الرصاصة جسمه وأصابت جزءًا من أذن ديلي. وكان هناك ضابط هندي آخر في الغرفة أراد أن يتحرك بسرعة لكنه عوجل بطلقات أخرى. وحاول ديلي بكل شجاعة أن يقبض على الجندي لكنه جرحه في ستة أماكن مختلفة من جسمه بواسطة سكين كان يحمله معه قبل أن يستسلم! وقد قتل الضابطان الهنديان وشفي ديلي تدريجيًا»!

وبعد مضيّ عدة سنوات يبدأ «بلجريف» يمارس عمله «مستشارًا ماليًا لحكومة البحرين» ويقوم بإعداد أول ميزانية في تاريخ البحرين بلغت حينها 75 ألف جنيه إسترليني جاءت معظم إيراداتها من ضريبة

الجمارك، وكان هذا المبلغ يصرف على الإدارات الحكومية والشرطة وأعمال الخدمات مثل حفر آبار المياه وإقامة الطرق والشوارع وغيرها.

وساهم اكتشاف النفط في البحرين عام 1932م في حدوث تغيرات كبيرة. فقد أقيمت مشاريع هامة مثل الكهرباء وجسر يربط بين المدينتين الرئيستين المنامة والمحرق وإنشاء نظام هاتفي يرويه بلجريف قائلًا: «كان يقوم بتشغيل البدالة التلفونية شابان بحرينيان لطيفان رغم استماعهما لمعظم المحادثات الهاتفية! وفي بعض الأحيان يكون هذا الشيء ذا فائدة فحينما يريد شخص ما الاتصال بشخص آخر فغالبًا ما يعرف هذان الشابان المكان الذي يوجد فيه ذلك الشخص فيقولان مثلًا إنه يتعشى الآن مع فلان في بيته.. لقد سمعناه وهو يدعوه للعشاء صباح اليوم!».

وعن بداية السينما في البحرين يروي «بلجريف» تلك البداية قائلًا: في عام 1937م ازدهر الاقتصاد البحريني فقد شهدت الجزيرة موسم غوص جيِّدًا، وارتفعت أجور العاملين بشركة النفط.. وقرر بعض الشبان من أبناء البلاد فتح دار للسينما واعتقدوا أنها ستكون مشروعًا ناجحًا ومربحًا. كانت هذه الفكرة موضع نقاش طوال السنوات القليلة السابقة لكنها قوبلت بالمعارضة من قبل كبار السن الذين رأوا بأن السينما سوف تجذب الأطفال والشبان إليها وستضطرهم إلى لعب القمار والسرقة من أجل توفير ثمن تذكرة الدخول. هذا الرأي بدا من وجهة نظري غير موضوعي ومستبعد الحدوث. وفي تلك السنة هدأت المعارضة وافتتحت أول دار للسينما في البحرين، ومن ذلك التاريخ أصبح البحرينيون عشاقًا للأفلام وهناك الآن (1959م) ثماني دور سينمائية أهلية في المنامة

والمحرق بالإضافة للدور التابعة للقوات الجوية الملكية البريطانية ولشركة النفط وللبحرية البريطانية.

أنا شخصيًّا مغرم بمشاهدة الأفلام، لكنني أعتقد أن عدم فرض مراقبة على الأفلام القادمة له تأثير سلبي على أي شعب متخلف نسبيًّا. فدخول السينما إلى البحرين أدى إلى تدهور أخلاق الناس وعاداتهم، فبعد عرض أحد الأفلام الذي تضمن قذف شخص لسائل حمضي حارق على آخر، وقعت حادثتان مشابهتان في البلاد. كما انتشرت ظاهرة محاولات انتحار الفتيات والنساء هذه الأيام عن طريق سكب الكيروسين (الكاز) على ملابسهنَّ وإشعال النار فيها، وأنا أعزو هذه الظاهرة إلى مشاهد الانتحارات المتكررة في أفلام السينما.

الأفلام المصرية هي الأكثر شعبية في البحرين لأنها ناطقة باللُّغة العربية، لكن أفلام المغامرات الغربية ذات الطراز القديم وأفلام طرزان هي التي يستمتع القرويون البسطاء كثيرًا بمشاهدتها. وعندما يرتفع مستوى تعليم الناس، فإن تأثير السينما عليهم يصبح أقلَّ أذى، ربما لعدم إيمانهم بأن الشاشة الكبيرة لا تعطي صورة صادقة عن الحياة في الغرب».

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية عانت البحرين، كغيرها من البلدان العربية، من الارتفاع الحادّ في مستوى المعيشة وشحّت المواد الغذائية الأساسية التي كان يأتي معظمها من الخارج. وحيال ذلك قامت البحرين بفرض نظام للتموين هو الأول من نوعه في المنطقة تمَّ بموجبه توزيع بطاقة تموين على الشعب، وعلى أساسها تمَّ تنظيم وتوزيع السلع الغذائية على الأهالي.

وفي اليوم الثامن عشر من شهر أبريل/نيسان من عام 1957م

يغادر «تشارلز بلجريف» البحرين لآخر مرة تاركًا وراءه جزرًا صاخبة بالتغير والتحولات، والأهم أنه ترك تاريخًا حافلًا ساهم في صنعه على مدى واحد وثلاثين عامًا!

بلجريف يستقبل جمال عبد الناصر في مطار البحرين عام 1955

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

عمل
إئتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

الهندي بندركار
يعالج غواصي اللؤلؤ في البحرين

طبيب فوق الأمواج

في صباح يوم ربيعي جميل من شهر أبريل/نيسان من عام 1925م، رن الهاتف في منزل الطبيب الهندي الشاب بندركار، كان المتحدث على الخط هو صديق الطبيب الذي أبلغه أنه قرأ إعلانًا في جريدة (بومبي) يطلبون فيه طبيبًا للعمل في جزر البحرين بالخليج، وأكمل صديق بندر كار حديثه: لا أكذب عليك، فأنا قدمت لتلك الوظيفة، غير أنني غيرتُ رأيي بعد أيام عندما حصلت على وظيفة ممتازة في الهند، ما رأيك؟ لماذا لا تقدم للعمل في البحرين؟

لم يكن أمام الطبيب بندركار سوى شكر صديقه، وترك الهاتف وراح في تفكير عميق.

كلها أيام قليلة حتى حزم بندركار أمره وقرر التقدم لوظيفة طبيب في البحرين، ومن أجل ذلك سافر إلى بومبي.

وفي مدينة بومبي أرسل بندركار برقية للطبيب الجراح الذي يعمل في الوكالة البريطانية بالمنامة، تفيد باعتذار صديقه ورغبته في أن يحلَّ محلَّه. ولم يمض وقت طويل حتى جاء رد الموافقة، وبدأ الطبيب بندركار استعداده للرحيل.

د. بندركار

هكذا تغادر سفينة بريطانية ميناء بومبي في بداية شهر مايو/أيار لتصل بعد رحلة شاقة إلى البحرين في العشرين من شهر مايو من عام 1925م.

وفي شاطئ المنامة فوجئ بندركار بمجموعة من السفن ترحب بهم، وفي واحدة منها كان طبيب الوكالة البريطانية ينتظره، ويرحب به ثم يوصله إلى شاطئ المنامة.

وبعد وصوله مباشرة راح بندركار يبحث عن فندق أو شقة أو غرفة للإيجار، إلَّا أن جهوده لم تؤدِّ إلى نتيجة، فقد اكتشف أن هذه المدينة وغيرها من مدن البحرين لا يوجد بها فنادق.

بعد هذه الصدمة اكتشف أيضًا أن عمله سيكون «طبيبًا فوق الأمواج» أي سيكون طبيبًا لمئات من غواصي اللؤلؤ، وهي المهنة لغالبية سكان البحرين وبقية بلدان الخليج في ذلك الوقت.

ويروي الطبيب الهندي الشهير في محاضرة له عام 1955م بعض ذكرياته عن عمله كطبيب الأمواج قائلًا: باشرت عملي فوق مركب خصص لي، وهو من طراز «البوم» وحمولته بين خمسين وتسعين طنًا، وهو مصقول ولامع، وقد طلي باللون الأبيض حتى يسهل على سفن الغوص التعرف إليه من بعيد، وكانت مهمتي الرئيسة أن أكون بمثابة طبيب لهذا المستشفى العائم، الذي يتجول بين مغاصات اللؤلؤ طوال موسم الغوص لتزويد الغواصين بحاجتهم من الدواء والعلاج السريع، وكانت معظم الأمراض الشائعة في المغاصات هي السعال والزكام والنزلات المعوية التي كانت تصيبهم نتيجة تسخين الطعام أكثر من اللازم. كما كان الغواصون يشكون من آلام الأذن والنزيف الذي كان يصيبها نتيجة ضغط الماء في الأعماق، كما قمت بخلع مئات الأسنان التالفة. وقد وجدت الجميع متعاونين معي إلى أقصى درجة، وكانوا يشعرون بالعرفان لهذه الرعاية الطبية التي تمَّ توفيرها بناء على مبادرة من صاحب السمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة.

وكان عليّ أن أقوم بجولة بين المغاصات فوق السفينة المستشفى، وهي جولة تستغرق بين ثلاثة أو أربعة أسابيع في كل مرة قبل أن أعود إلى الميناء للتزود بالمؤن والأدوية والضمادات

والوقود والماء العذب، ثم أبدأ على الفور جولة ثانية بين المغاصات، وهكذا طوال موسم الغوص، وكنت أحتفظ معي بسجل حول حالة الطقس وقائمة بأسماء المرضى الذين تلقَّوا العلاج ونوع الأمراض، وكنت أرسل هذا التقرير إلى السلطات المختصة عقب كل موسم.

وبالرغم من أن مهنته أو تخصصه كطبيب للغواصين كانت ربما الفريدة من نوعها في العالم، رغم التنوعات في تخصصات الطب، إلَّا أن بندركار كان سعيدًا بعمله حيث يروي:

في الفترة بين عام 1925 و1938م قمت بزيارات منتظمة على ظهر سفينة المستشفى لكل مغاصات اللؤلؤ، وكان يصحبني في هذه الجولات مفتش من حكومة البحرين للتفتيش على تراخيص صيد اللؤلؤ، وكاتب له ومساعد لي، وكانت السفينة تغادر المنامة في بداية الموسم، وأقوم خلال الموسم بأربع أو خمس جولات على المغاصات. وكانت سفينة المستشفى سفينة عادية حتى عام 1932م، ولكن بعد ذلك خصص لنا أحد اللنشات وكان مزوَّدًا بمحرك مما ساعد على القيام بجولات قصيرة وسريعة للمغاصات كانت تستغرق كل جولة بين ثلاثة أو أربعة أيام. كما أن عملية تزويد المستشفى بالمؤن والأدوية أصبحت أكثر يسرًا وسهولة، واستطعت بذلك أن أنقل المصابين بحالات خطيرة كالحمى أو الالتهاب الرئوي إلى المستشفى داخل البحرين.

كنت أزور كل المغاصات حول البحرين شمالًا وشرقًا، وكنا نرتاح لبعض الوقت في جزر حوار أو فشت الديبل أو جرادة، كما كنا نتزود أحيانًا بالماء العذب من خور فشت.

وفي السنوات الأولى التي كنت أزور فيها المغاصات بصورة

منتظمة كانت هناك حوالي سبعمائة سفينة بحرينية تعمل في شمال البحرين، وكنت أحيانًا أصادف بعض السفن السعودية أو الكويتية أو القطرية، ولكنها لم تكن تزيد على خمسين سفينة في المنطقة كلها.

السنوات الأخيرة لخدمتي على السفينة المستشفى شهدت انخفاضًا في عدد سفن صيد اللؤلؤ، لكن أكثرها كانت لا تزال بحرينية، وظلت نسبتها كما كانت في السنوات الأولى.

وكان لا بد أن يكون لدى كل سفينة من سفن الغوص ترخيص بالعمل، وكان المفتش الحكومي الذي يرافقني يقوم بفحص هذه التراخيص، وكان كاتبه يسجل أسماء قادة السفن وعدد الغواصين في كلّ سفينة.

أثناء عملي كنت أسمع حكايات من الغواصين، معظمها يدور حول تعرُّضهم للهجمات من البدو المسلحين الذين كانوا يهاجمونهم من البر الرئيس في زوارق صغيرة. وكانت هذه الهجمات تقع في الليل في الظلام الدامس، وعندما يكون الغواصون غارقين في النوم العميق بعد يوم من العمل الشاقّ. وكانت هذه الهجمات تستهدف التجار الذين تكون لديهم كميات كبيرة من اللآلئ والأموال. كما كان المهاجمون يستولون على الأرز والمؤن الأخرى.

ولكن سفينتي والسفن المجاورة لها أثناء جولاتنا لم تتعرض على الإطلاق لأيٍّ من هذه الهجمات، ذلك لأن اللون الأبيض لسفينة المستشفى كان يدل على أنها سفينة حكومية مما كان يحميها ويحمي السفن المجاورة لها من هذه الهجمات.

وقد أخبرني بعض غواصي اللؤلؤ أن (النواخذة) كانوا رجالًا مستبدين، وأنهم كانوا يعاملونهم بغاية القسوة. كما كانوا يجوّعون

الغواصين الذين لا يمتثلون لأوامرهم. لكنني شخصيًّا لم أصادف مثل هذه الحالات، ذلك لأن حكومة البحرين كانت متيقظة، وكانت تستمع لأية شكوى يتقدم بها الغواصون. كما كان من حق أيٍّ غواص أن يطلب تعويضًا عن أي ظلم تعرض له أثناء موسم الغوص. وإذا مات أحد على ظهر إحدى السفن، فإن جثته كانت تنقل إلى البحرين ويتم إبلاغ الحكومة بالوفاة، كما كان يجري فحص الجثة قبل التصريح بدفنها، ولم تلق جثث في البحر قط.

ويشرح الطبيب بندركار وضع الغوص الصعب فيقول: أما سفن الغوص فكانت ثلاثة أنواع:

سفينة كبيرة تحمل حوالي ستين شخصًا بينهم حوالي ثلاثين أو خمسة وثلاثين غواصًا والباقين من السيوب وغيرهم من العمال بالإضافة إلى النوخذة قائد السفينة. أما السفينة المتوسطة فكانت تحمل بين أربعين وخمسين شخصًا، والصغيرة بين عشرة أشخاص وخمسة عشر شخصًا. ولما كان عدد السفن يتراوح بين ستمائة وسبعمائة سفينة فإن عدد الأشخاص الذين يشتركون في موسم الغوص كان يتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين ألف شخص. وكان بينهم عدد كبير من الوافدين من الساحل الإيراني والجزيرة العربية يجلبهم أصحاب السفن البحرينيون للعمل بشروط مغرية. سُميت معظم المغاصات بأسماء عائلات بحرينية عربية شهيرة وهي العائلات التي اكتشفت هذه المغاصات سواء داخل المياه الإقليمية أو خارجها.

لقد تأثرت تجارة اللؤلؤ أيضًا بسبب الكساد الاقتصادي الذي أصاب العالم كله في عام 1929م وسجلت تجارة اللؤلؤ تدهورًا مستمرًّا فيما بعد، مع أنها كانت مصدرًا رئيسًا للاستقرار الاقتصادي.

أما السفن التي ما زالت تمارس صيد اللؤلؤ حتى اليوم (نوفمبر/ تشرين الثاني 1955م) فهي لا تزيد على ست سفن في موسم للصيد يستمر لأربعة أشهر وعشرة أيام.

كان الغواصون يبدؤون عملهم مع مطلع الشمس وذلك بعد إفطار خفيف يتكون من عدة تمرات وفنجان أو فنجانين من القهوة. وكان العمل يستمرّ حتى غروب الشمس حين يتناول الجميع عشاء ثقيلًا يتكون من الأرز المقلي وكمية كبيرة من السمك المشوي والتمور، وكانوا يستخدمون كميات كبيرة من الدهن في إعداد الأرز الحلو.

وكان الغواص يضع ضاغطًا على أنفه، كما كان يغطي رؤوس أصابعه بقفاز مصنوع من جلد البقر. ولم يكن يرتدي إلَّا مئزرًا أو سروالًا قصيرًا. وكان يغوص مستخدمًا ثقلًا مربوطًا بحبل رفيع ويحمل معه سلة خفيفة مصنوعة من الحبال ومربوطة بحبل. أما الثقل فكان يسحب إلى سطح الماء بعد أن يصل الغواص للقاع ويبقى الغواص في القاع، حيث يجمع في سرعة الأصداف ويضعها في السلة، فإذا انتهى نفسه هز الحبل في إشارة إلى السيب وهو الرجل المكلف بسحب الغواص فيقوم على الفور وبسرعة شديدة بسحبه إلى سطح الماء. وعادة يقضي الغواص في قاع المغاصة حوالي الدقيقة ونصف الدقيقة في كل مرة ويقضي فترة الراحة بعد كل عشر غوصات وتعمل فرقة ثانية من الغواصين بالتناوب، وفي فترة الراحة يكون الغواص في أشد الحاجة إلى الإنعاش بالقهوة والتمر.

من المناظر الرائعة التي لا تنسى منظر المغاصات حيث تجتمع السفن فيما يشبه السوق الكبيرة الكثيرة الحركة والضوضاء، حيث يرتفع صوت المؤذنين معلنًا عن مواعيد الصلاة. والغواصون

يعملون أثناء الظروف المواتية للطقس، ولكن عندما كانت تظهر بوادر عاصفة في الأفق فإن المراكب الشراعية كانت تسرع بالإبحار إلى مكان آمن، مثل فشت الجارم حيث تبقى هناك إلى أن تنجلي العاصفة ويتحسن الطقس من جديد، وخارج المغاصات كان طبيب الأمواج يعالج غواصي اللؤلؤ من أمراض مختلفة، يقول عنها بندركار: في بداية موسم الغوص وأواخره كان الغواص يصاب غالبًا باحتقان في الرئتين ربما بسبب برودة الماء في القاع وكان معظم المصابين يبصقون دمًا ليوم أو يومين دون ارتفاع في درجة الحرارة، ولكني لم أصادف حالات التهاب رئوي أو التهاب شعبي رئوي إلَّا نادرًا.

أما المصابون بأمراض الأذن فكانت نسبتهم تتراوح بين 80 و90% وكانت الإصابات حادة أو مزمنة وكانت مصحوبة في بعض الأحيان بنزيف والسبب يرجع إلى تأثير ضغط الماء على الغشاء الطبلي للأذن.

وكانت الصحة العامة للغواصين رديئة جدًّا، وذلك بسبب تناولهم وجبة واحدة في اليوم وبسبب عدم توازن الطعام وافتقاره لكثير من العناصر مع عملهم الشاقّ.

لقد كانت السفن تبقى في البحر لمدة طويلة وكان الغواصون يعانون كثيرًا، أما الآخرون كالمجدفين والسيوب فكانوا يتمتعون بصحة جيدة.

وكانت الملاريا من الأمراض المهلكة التي فتكت بعدد كبير من الضحايا بين عامي 1928 و1935م. وكان عدد المصابين يزداد كثيرًا في الفترة ما بين شهر مايو/أيار وشهر يوليو/تموز وبين شهر نوفمبر/تشرين الثاني وشهر يناير/كانون الثاني . وقد كنا نستخدم

كميات كبيرة من الكينين كل عام للتصدّي لهذا المرض المستوطن مما أدى إلى ارتفاع أسعار الكينين في السوق لتصل إلى أربعين روبية للرطل. وفي بعض الأوقات كان هذا الدواء يختفي من السوق تمامًا. وقد قامت حكومة البحرين بحملة كبيرة للتصدّي لهذا المرض، فحشدت عددًا من الاختصاصيين ومساعديهم من الهند وشكلت لجنة لمكافحة الملاريا تضم الموظفين الحكوميين وموظفي البلدية والرجال البارزين وبذل المعتمد السياسي جهودًا خاصة لوضع خطط استئصال هذا المرض، والآن لا نجد مصابًا واحدًا به سوى بعض الوافدين من المناطق المجاورة مثل إيران ودبيّ والجزيرة العربية. ومنذ شكلت الدائرة الصحية بالبحرين يجري كل عام حملة تطعيم لمواجهة الجدري وهو المرض الذي كان مستوطنًا في الماضي. وكان الطبيب «بندركار» يعمل بعد انتهاء موسم الغوص في مستوصف صغير بمدينة المحرق لبعض الوقت.

ويروي عن ذلك المستوصف: كان يقع في دكان صغير طوله عشرون قدمًا وعرضه عشرة أقدام وله باب كبير في المقدمة ونافذة صغيرة في جانب واحد وتنقصه التهوية والإضاءة. وكان يديره قبل حضوري للبحرين طبيب من طائفة البهرة ويمارس العلاج فيه على أساس الطب اليوناني الشعبي القديم. وتصادف بمجرد استلامي العمل في المستوصف أن وقع حادث سيارة مما أدى لوفاة أحد الأشخاص وإصابة عدد آخر بجراح ولم تكن بالمستوصف أي ضمادات أو إبر لخياطة الجروح أو خيط، كما أن المستوصف نفسه كان من الصعب الوصول إليه بالسيارات نظرًا لسوء الطرق المؤدية إليه. وقد بذلت أقصى جهدي لإسعاف الجرحى بكل ما أمكنني تدبيره من مواد وعند وصولي إلى بيتي في العاشرة مساء كانت هناك كارثة في الطريق.

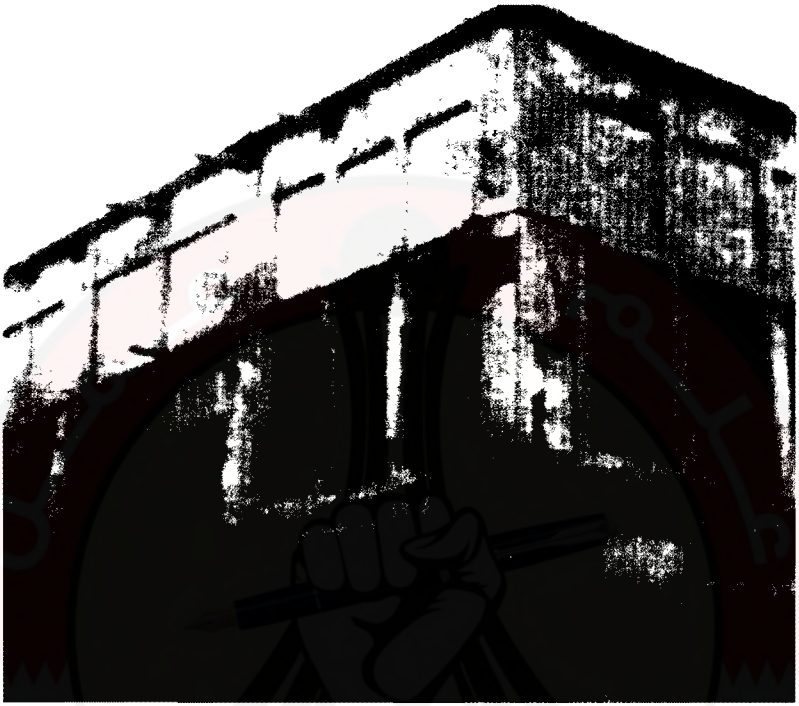

عيادة المحرق الأولى

أما «الكارثة» فهي الحادثة الشهيرة التي تسمى في البحرين بـ«سنة الطبعة» حيث ذكرها «بندركار»، ففي هذه الساعة المتأخرة تعرضت البحرين والمنطقة المحيطة بها لعاصفة مرعبة فاجأت مئات السفن التي كانت راسية في المغاصات والتي كان آلاف العاملين عليها يرقدون في سبات عميق بعد يوم عمل شاق دون أن يشعروا ببوادر الكارثة في هذه الليلة المشؤومة.

في الصباح التالي أسرع الآلاف من الرجال والنساء والأطفال إلى الشاطئ وقد ارتفع صراخهم وبكاؤهم وهم يحدقون في البحر في ذهول دون أن يعرفوا شيئًا عن مصير أقربائهم. وقد تلقيت

تعليمات بالتوجه إلى البحر في لنش المعتمدية لتقديم المساعدة الطبية وإنقاذ من بقي على قيد الحياة. وقد وجدنا مئات السفن مقلوبة وطافية فوق سطح الماء ولكننا لم نجد أثرًا للضحايا، فيما عدا شخصين تعلقا بحطام إحدى السفن وقد توفي أحدهما من التعب قبل أن نصل للميناء. وقد بلغ عدد الغرقى حسب التقديرات المعتدلة خمسة آلاف شخص.

وقد ظل مكتب البرقيات مشغولًا لمدة أسبوع دون توقف في إرسال واستلام الرسائل من وإلى أقارب الأجانب العاملين في البحرين للاطمئنان عنهم، وقد تم نقل المستوصف مرتين.

ويبدو أن الكوارث كانت تلاحق الطبيب فوق الأمواج، حيث يروي عن سوق اللؤلؤ وتجاره ثم انهياره بعد ذلك بقوله:

يذهب تجار اللؤلؤ في سفنهم وزوارقهم ليبتاعوا اللؤلؤ من سفن الغوص، ويقوم بزيارة مغاصات اللؤلؤ مئات التجار في آن واحد، وتجري معاملات حول البيع ويدفع في اللآلئ الممتازة مبلغ كبير من المال.

ويقوم بزيارة هذه الجزر عدد كبير من تجار اللؤلؤ من الفرنسيين والبريطانيين، ويتوقف رواج السوق أو كساده على وصول هؤلاء التجار خلال موسم الغوص. حيث يزودون أنفسهم بما يبلغ قيمته ملايين الروبيات. وتكون اللآلئ الممتازة رائجة في كل من لندن وباريس، ولقد أصبحت تجارة اللؤلؤ في هبوط مستمر منذ عام 1930م نتيجة لهبوط مستوى التجارة العامة في العالم. والباعث الثاني الذي كان سببًا في وصول هذه الصناعة إلى حالتها الراهنة من الهبوط هو أن الناشئين من تجار اللؤلؤ لم يكن لهم ميل للاتجار باللؤلؤ، نظرًا لما تتطلبه هذه التجارة من عمل شاقّ وتعوّد على حياة

البحر.. ويفضل من حصل منهم على أي نوع من الثقافة العمل في شركات الزيت في البحرين، وفي المملكة العربية السعودية، حيث يضمن دخلًا شهريًا يكفي لما تتطلبه معيشتهم من الحاجيات الضرورية، وقد أصبح محصول اللؤلؤ في الوقت الراهن 1955م لا تتعدى قيمته خمسة ملايين في العام، في الوقت الذي كانت قيمة محصوله تتراوح بين خمسين وستين مليونًا من الروبيات في عام 1920م وفي أوائل عام 1930م.

وبقية انهيار اللؤلؤ معروفة للجميع.

ومع نهاية ذكريات «بندركار» بقيت ذكرى كثير من أهالي البحرين عنه، فقد أحبوه حتى أنهم أطلقوا إشاعات بعد وفاته تقول بأنه لما أحرقت جثته «طبقًا للطقوس الهندوسية» لم تستطع النار أن تمسّ يده اليمنى لأنها عالجت الكثير من مسلمي البحرين!

وفي النهاية اختفى اللؤلؤ ورحل الغواصون وانهارت الإمبراطورية، وعاد الطبيب «بندركار» إلى الهند مرة أخرى بعد ثلاثين عامًا، تاركًا مئات الذكريات وحقيبة طبية مملوءة بالأدوية والمشارط وسماعة لا تفارقه مهما بعُد أو ارتحل.

الأديب اللبناني أمين الريحاني يزور أول مدرسة نظامية في البحرين عام 1922م

مفكر بثياب غير مرتبة وأفكار عظيمة

بعد رحلة طويلة وشاقة من الحجاز واليمن وصل قارب صغير إلى ميناء المنامة في صباح أحد أيام شتاء عام 1922م يحمل على ظهره مجموعة من العرب المسافرين وبضائع قليلة. ووسط المسافرين خرج رجل عربي متوسط الطول يلبس بذلة إفرنجية، غير أنه يعتمر كوفية وعقالًا فوق رأسه، كان يحدق في كل شيء، يطالع في ذهول ويراقب في دهشة. ولم يتذكر المفكر اللبناني المشهور أمين الريحاني وقتها وهو على رصيف الميناء سوى أمتعته.

ووصل «الريحاني» إلى البحرين مصحوبًا بالدهشة التي عبّر عنها بمرارة في كتابه «ملوك العرب» حيث اكتشف ما أخطأ الظن مرة ببلاد عربية مثل خطئي بالبحرين. وما دهشت في قطر من الأقطار التي زرتها دهشتي أول يوم في هذه الجزيرة. ولا غرو فالجهل يجسم المدهشات. قال أحد الأصدقاء في الحجاز، وهو يصف لي الطريق إلى نجد: ستسافر من بومبي إلى البحرين ومنها في مركب شراعي إلى العقير، فظننت البحرين جزيرة صغيرة حقيرة يأوي إليها الصيادون، وظننت شيوخها من البدو الذين يسكنون الخيام. بل كنت عند وصولي أظنها معبرًا إلى الأحساء.

أمين الريحاني بالزي العربي

واختتم الريحاني اعترافه قائلًا: وماذا ينفع التظاهر بالعلم إذا فضحتك أول كلمة منك بعد السلام، أما وإني أمقت الادعاء فلا أحاول إخفاء جهلي وهو جهل عام يكاد يشمل كل أدباء العرب، إني أعترف عني وعنهم. وقد كان هذا الاعتراف الجميل بـ «الجهل» بداية لسلسلة الاكتشافات التي لم تنته في هذه الجزائر «البحرين» المثيرة.

وتواصلت الإثارة مع السائح الريحاني عندما قام بالجولات الأولى في المدن والأسواق ورأى العمران وشاهد حركة التجارة الناهضة. وزار شيوخ البحرين وحكامها والتقى الأدباء والمثقفين والعلماء، وبالمقابل احتفلت البلاد بالمثقف والمفكر، وبابن لبنان، و«الرجل الذي تلتقطون أخباره وترددون أشعاره. قد ساعدكم الحظ، وغفلت عنكم عين الزمان فقام بينكم بزي كزيكم فهل لكم أن تخطوا بخطاته وتستفيدوا من نفثاته»، كما قال عنه الأديب البحريني عبدالله الزائد في الاحتفال الكبير الذي أقامه النادي الأدبي بالمحرق.

وتواصلت الاحتفالات وانهمرت ولائم التكريم على الأديب الريحاني في مدن البحرين الكبيرة.

غير أن المفكر اختتم زيارته بزيارة إلى تلاميذه حيث التقى قبل أيام من مغادرته البحرين بتلاميذ أول مدرسة نظامية في البحرين ألا وهي مدرسة الهداية الخليفية للبنين.

فقد كان أهم انطباعات الدهشة التي خرج بها الريحاني عن جزر البحرين هي: هذه المدرسة الابتدائية وفيها يعلم بعض العلوم وفيها من المعلمين المصري والعراقي والنجدي.

وقبل يوم من الزيارة يفاجئ الشيخ عبدالعزيز العتيقي، مدير مدرسة الهداية، التلاميذ بخبر عن زيارة الريحاني ويذهب بنفسه إلى فصول المدرسة واحدًا واحدًا قائلًا للتلاميذ: «غدًا سوف يأتيكم سائح عربي وهو ضيف على البحرين، وعليكم استقباله خارج المدرسة، والاستعداد لمقدمه باللباس النظيف والمرتب».

وفي ذلك الصباح البارد يصطف التلاميذ خارج المدرسة وهم في غاية الاستعداد من حيث لبسهم الثياب النظيفة والترتيب الملحوظ، وقبل وصول الريحاني راح مدير المدرسة الشيخ العتيقي يفتش بنفسه على نظافة وترتيب التلاميذ.

وعند الساعة السابعة والنصف يصل الريحاني، كما يتذكر المرحوم عبدالعزيز الشملان، برفقة وزير المعارف البحريني، الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة، وعند وصولهم يبدأ التلاميذ يلقون بعض الأناشيد تحية للضيف، ويقول بعضها: «جددوا العهد القديم ذلك العهد المجيد».

وبعد الأناشيد الحماسية ألقى التلميذ أحمد موسى العمران، أفضل التلاميذ إجادة في الخطابة، قال فيه: أيها الأستاذ الفاضل إني بالأصالة عن نفسي وبالإنابة عن إخواني الطلبة أقدم لك واجبات التحية والاحترام والتجلة والإعظام وأعرض لحضرتك بأننا قد نقشنا على صفحات قلوبنا محبة أبناء شعبنا ووطدنا نفوسنا على السعي وراء جمع كلمة أمتنا ورفعها من حضيض خمولها إلى أوج سعادتها، ولكننا اليوم أطفال في سن الطلب، فعليكم أيها الآباء الكرام القيام بهذا الواجب ريثما نتأهل له. وإننا أيها المصلح قد سمعنا بشهرتك وإنك قائم بتحقيق هذا الطلب على حدتك فأكبرناك

وأعظمناك وغاية ما نستطيعه الآن من مكافأتك هو الاحتفال بك، وقيامنا أمامك إجلالًا لقدرك ولكننا رجال المستقبل سننصب لك في أدمغتنا تمثالًا ونخلد لك على صحائف التاريخ ذكرًا جميلًا، فلا تبتئس بما تراه في بعض البلاد من التقصير فيما يجب لأعاظم الرجال، وذلك التقصير الذي هو نتيجة الجهل ولك أسوة بأسلافك المصلحين واللّه لا يضيع عمل المحسنين.

وفي الختام أهتف بلسان الإخلاص فاهتفوا معي فلْيَحيَ العالم، فَلْتَحْيَ الأمة العربية وليعش رجالها العاملون.

ورد «الريحاني» بكلمة جميلة مختصرة قال فيها: أيها الطلبة الأعزاء.. أشكر لكم ولمدير هذه المدرسة هذا الجميل وأشارككم بالدعاء لشيوخ هذه الجزيرة الأفاضل بطول البقاء ودوام الإقبال ليضيفوا إلى هذه المآثر الحميدة مآثر عديدة لترقية البلاد، بالتعليم ولإعادة ذلك المجد العزيز الغابر، وأرجو أن يطيل اللّه بقائي لأشاهد منكم في المستقبل رجالًا، وأنتم كما قال خطيبكم الصغير رجال المستقبل يعملون لخير الوطن ويجاهدون في سبيل العالم وحرية الفكر ويحققون آمال العاملين اليوم بتثقيف عقولكم وتهذيب أخلاقكم وإهدائكم السبيل القويم إلى خزائن العلم والأدب.

وأضاف الريحاني في خطبته لتلاميذ مدرسة الهداية: سمعتكم أيها الأعزاء تنشدون جددوا العهد القديم ذلك العهد المجيد. أفتعلمون كيف يُجدد ذلك العهد المجيد؟ أتعلمون ما هي أركان ذلك المجد العربي القديم، أتذكرون اسمًا واحدًا من أولئك النوابغ المجاهدين الذين أقاموا تلك الأركان في تربة جبلت بعرق العقول ودم القلوب وصيغت أكاليلها من معدن الأفكار.

أجل أيها الأعزاء ما كان ذلك المجد الذي ننشده اليوم إلَّا بالعلم وما عطر أرجاء البلاد العربية إلَّا العلم وما جعل الاسم العربي محترمًا ومعززًا في الأقطار والأمصار من الهند إلى الأندلس إلَّا العلم.

ولا أريد بالعلم مجرد اللغة والفقه والدين ولا أريد به مجرد العلوم علم الدين وعلم الدنيا وعلم الأرواح وعلم الأبدان، بل العلم الذي مصدره العقل والعلم الذي مصدره الخيال، فإذا قلتُ لكم طالعوا شعر أبي العلاء المعري أقل لكم كذلك ولا تهملوا شعر ابن الفارض، اقرؤوا البخاري والغزالي واقرؤوا ابن سينا.

أوليس من العار علينا أن نجهل نحن علومًا وضع علماء العرب أساسها، بل كان أولئك الأفاضل من أكبر المشتغلين بها. هذا ابن رشد في الفلسفة وابن سينا في الطب وابن خلدون في الاجتماعيات والاقتصاد والمقريزي وياقوت في علم البلدان والدميري في علم الحيوان، فإن ذكرهم عند الإفرنج لا يزال مجيدًا وذكرهم عندنا كاد يموت.

فإذا نشدنا ذلك المجد الغابر ينبغي أن ننشد تلك العلوم وأولئك العلماء مصدر ذلك المجد وعماده، وأن نضيف كذلك إلى علومهم من ثمار علمنا ومباحثنا كما فعل كذلك الأوروبيون. وإني أقول لكم أيها الأعزاء ما أقول: إن الأفضل لنا ولا خير فينا إذا كنا نبغي مجرد العودة إلى الماضي دون أن نقتبس من علوم زماننا ونشارك الباحثين فيها والعاملين بها الساعين في نشرها وتعزيزها في المشرق والمغرب لنزرع نحن العرب في بساتيننا من بذورها وأشجارها ولنتفقدها بالحراثة والتربية. بهذا يكون المجد وفي مثل هذا يفاخر المفاخرون.

وبكلمة أخرى إذا سعينا، ونعم السعي، في تجديد العهد القديم وذلك العهد المجيد علينا أن نشيِّد فوقه مجدًا من صنع أيدينا، من نتائج عقولنا ليكون لنا فضل على الأجداد كما كان الفضل لهم على من تقدمهم.

وصفق التلاميذ والمدرسون طويلًا لخطبة المفكر اللبناني أمين الريحاني، وخرج ومعه وزير المعارف بعد زيارة قصيرة لمباني وفصول المدرسة، خرج الريحاني وهو في غاية السرور والسعادة مما رآه وسمعه.

وعلى عكس سعادة الريحاني كان تلاميذ الهداية هم الوحيدين ربما من أهالي البحرين الذين لم يعجبوا إطلاقًا بهذا المفكر وشخصيته، أما السبب فلم يكن يخطر على البال!

فيروي أحد تلاميذ الهداية آنذاك، المرحوم عبدالعزيز الشملان، أن طلاب المدرسة كانوا معتادين دائمًا على أن الشخصيات المرموقة ومهما كانت جنسيتها يجب أن تلبس اللباس العربي وأن يكونوا ذوي ثياب طويلة علاوة على بشوت تسحب من ورائهم. إلَّا أن هذا لم يحدث مع الضيف الريحاني الذي جاءهم بلباس عربي ولكن ينقصه الكثير.

فقد حضر الضيف إلى المدرسة بثوب قصير وبشت قصير أيضًا وكان يلبس غترة وفوقها شطفة غير مرتبة لذلك كانت حالة ثيابه وجسمه أشبه بالإنسان المنفوخ من الأعلى فقط!

وبسبب عدم ترتيب ثياب الريحاني وعدم إعجاب التلاميذ بها لم يترددوا في تسميته «الديك الرومي».

إئتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

أندية البحرين في القرن العشرين

روزنامة حافلة بالألعاب والكتب والأسماء والأحلام

قبل نشأة الأندية في البحرين في بداية القرن العشرين، كانت مجالس البيوت التي كان يعقدها بعض كبار التجار والشيوخ هي أحد أهم البدائل للمثقفين وقراء الصحف والمتنورين وبعض العامة للالتقاء وتبادل الآراء وعقد الأمسيات الشعرية والأدبية.

وبرغم من وجود العديد من المجالس في مدينتي المحرق والمنامة تحديدًا، إلَّا أن القليل منها كان يمكن أن يطلق عليه مجلس ثقافي حقيقي. ومن بين هذه المجالس الهامة والمؤثرة في تاريخ البحرين الثقافي كان مجلس الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة، الشاعر والمثقف المعروف في مدينة المحرق.

فمنذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين وظهور أول نادٍ ثقافيّ، كان مجلس الشيخ إبراهيم بمثابة منتدًى ثقافي زاخر، يلتقي فيه كثير من أدباء ومثقفي البحرين، ويتبادلون الآراء ويقرؤون الصحف التي كان يجلبها المثقف والتاجر النجدي المشهور مقبل عبدالرحمن الذكير، أمثال «المقتطف» و«العروة الوثقى» و«المنار» و«الهلال» وغيرها[1].

(1) لمزيد من التفاصيل حول منتدى الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة؛ راجع كتاب مي محمد الخليفة، **مع شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد الخليفة؛ 1850هـ-1933م**، رياض الريس للكتب والنشر؛ لندن 1993م.

وبجانب مجلس الشيخ إبراهيم آل خليفة في المحرق، عُرف مجلس ثقافي آخر هو مجلس مقبل عبدالرحمن الذكير صديق الشيخ، والذي كان يعقده في بيته بالمنامة.

ورغم الأهمية الكبيرة التي لعبتها تلك المجالس في تنوير الناس وزيادة وعي المثقفين واتساع معارف التجار، إلّا أن البحرينيين وجدوا أن حاجتهم إلى الأندية لا يمكن أن تتأخر أكثر من ذلك.

وفي الواقع كانت الحاجة إلى وجود أندية حديثة في البحرين لها من المبررات والأسباب مما لا يحصى.

فوقتها كانت البحرين كغيرها من بلدان الخليج العربي والجزيرة العربية بلدانًا محرومة من المنتديات ومن الأحزاب والمجالس التشريعية والصحف. وكانت كل تلك الأشكال التعبيرية وأدوات المجتمع المدني ومؤسساته الحديثة تعتمد في قيامهما على حصول الراغبين على ترخيص من السلطات الحاكمة التي كانت تمثلها بريطانيا آنذاك، وطبعًا كان الحصول على ترخيص لإصدار صحيفة أو غير ذلك من رابع المستحيلات.

وبسبب تلك المستحيلات، بجانب عدم وجود الوعي الكافي وتخلف المجتمع والأمية الساحقة، كلها اجتمعت ضد تلك التطلعات المبكرة لأبناء البحرين المثقفين.

وهكذا كان الخيار الوحيد أمام المثقفين وحتى السياسيين والتجار هو تأسيس أندية ثقافية صغيرة، تلمّ شملهم وترتب أفكارهم، وتوحد لقاءاتهم.

وراحت فكرة إنشاء أندية ثقافية وأدبية تبدأ في النضوج مع زيادة عدد خريجي المدارس الأهلية والأجنبية، وخاصة مدرسة الإرسالية

الأميركية بالمنامة. ومع انتظام وصول الصحف العربية الشهيرة، كالعروة الوثقى والمقتطف والمنار والهلال وغيرها، وازدياد عدد قرائها في المجالس، وبداية صدامات عنيفة بين بعض الشباب والشيوخ حول الكثير من الأفكار العصرية والمخترعات الجديدة والأطروحات السياسية التحررية.

نادي إقبال أوال (المنامة) 1913ـ1913م:

في بداية عام 1913م تضيق مجموعة خريجي مدرسة الإرسالية الأميركية بالمنامة وغيرهم من المثقفين البحرينيين الذين كانوا يرتادون مكتبة الإرسالية العامة بالمنامة، تضيق تلك المجموعة بالمحاولات التبشيرية التي بدأت تمارس عليهم، فيتخذون قرارًا جماعيًا بمقاطعة المكتبة وعدم ارتيادها إلى النهاية. بل ويتخذون فيما بعد قرارًا خطيرًا آخر هو إنشاء مكتبة لتكون بديلًا عن مكتبة المبشرين «المزعجة»!

وهكذا تجتمع بعض الشخصيات المثقفة أمثال: الشيخ محمد صالح، ناصر الخيري، محمد العريض، خليل المؤيد، محمد وسلمان التاجر، علي الفاضل، محمد الباكر، علي كانو، وسعد الشملان، ويقرون إنشاء مكتبة عامة تعرف باسم «مكتبة إقبال أوال».

ثم راحت هذه المجموعة في استئجار أحد دكاكين شارع الشيخ عبدالله في وسط المنامة ليكون مقرًا لها، ووضعت فيه بعض الكراسي والطاولات، وما توفر لها من الصحف والكتب، وراحت تقرأ في مناخ مختلف عن مناخ المناقشات والمحاولات المستمرة للمبشرين في مكتبتهم.

ودون الحاجة إلى كتابة يافطة أو طباعة أوراق رسمية، تغير

المجموعة اسم المكتبة وتحوله إلى «نادي إقبال أوال» و«الليلي»، لعدم ممارسة نشاطه إلّا في الليل![1].

وقد كان أعضاء النادي يمثلون الطبقة المثقفة في مجتمع تلك الفترة. فقد تخرج بعضهم من الأزهر، والبعض الآخر درس في الهند أو في المدارس التبشيرية في البحرين التي كانت المدارس الوحيدة الحديثة حينذاك. وقد استغل المبشرون الوضع الاجتماعي المتخلف والجهل المنتشر للتبشير لدعواتهم الهدامة، لذا تصدَّى المثقفون في البلاد لمنافستهم ومحاولة بث ثقافة حديثة تستطيع مواجهتهم، وتطلعوا إلى توعية القاعدة الشعبية وتحذيرها من أخطار تلك الدعوات الدخيلة[2].

وبجانب قراءة الصحف والمناقشات، يبدأ النادي سلسلة محاضرة تثقيفية علمية وأدبية ودينية يحاضر فيها أعضاء النادي أنفسهم، كما يبدأ بعض أعضاء النادي بمراسلة بعض الصحف العربية الشهيرة كالمنار والهلال وغيرها، وكان الأبرز في ذلك هو المثقف ناصر الخيري ومحمد صالح خنجي.

فناصر الخيري مدير النادي يسأل جريدة «المقتطف» مثلًا، عن: «ما قولكم في بيع الرقيق؟ أفضيلة هو أم رذيلة؟ فإن كان الأول فلماذا يصادره الغربيون، وإن كان الثاني فلماذا لا يقول

(1) خالد البسام؛ **تلك الأيام حكايات وصور من بدايات البحرين**؛ مطبوعات بانوراما؛ الطبعة الثانية؛ البحرين 1987م.

(2) إشراف: د. سهير القلماوي، **دراسات في أدب البحرين**؛ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم؛ معهد البحوث والدراسات العربية؛ مجموعة مؤلفين؛ القاهرة؛ 1979م.

بتحريمه رجال الدين في الشرق؟ ويقول الغربيون إن علة هذا الداء الإسلام والمسلمون. فهل هذا صحيح؟ وإن لم يكن كذلك فما سبب تأصله حتى صار يصعب قطع جرثومته من الشرق؟» ويسأل في رسالته الثانية عن: «جاء في دائرة المعارف تحت عنوان البحرين ما نصه (وفتحها أردشير بن بابك، ورمى ملكها نفسه من حصنه خوفًا منه) فمن هو هذا الملك الذي رمى نفسه؟ وفي أي سنة كان ذلك».

وعن: «من اكتشف مغاوص اللؤلؤ في الخليج العربي؟».

أما رئيس النادي الشيخ محمد صالح فيكتب إلى الشيخ «رشيد رضا» في جريدة «المنار» يقترح عليه: «هل من الممكن إنشاء مؤتمر إسلامي يعود على الإسلام بفائدة في القريب العاجل؟ وأين ينبغي أن يكون؟» وكذلك: «ألا تستحسنون أن تقوم جماعة الدعوة والإرشاد بفتح نادٍ بمكة تسميه نادي التعارف؟».

وبرغم من أن أنشطة وفعاليات النادي لم تكن إلَّا ثقافية خالصة، إلَّا أن تلك الثقافة «الخالصة» كانت تعبر عن أفكار تنويرية متقدمة لم يكن يرضى عنها شيوخ الدين آنذاك وقوى رجعية أخرى كانت تتحكم في عقول وآراء المئات من البشر الأميين.

ولم ينتهِ من عمر نادي إقبال أوال سوى بضعة أشهر حتى توالت الاحتجاجات وكثرت الشكاوى لدى قاضي البحرين الشهير آنذاك قاسم المهزع.

وكادت تلك الاحتجاجات أن تمر بسلام لولا أن مدير النادي نفسه ناصر الخيري يرسل إلى صاحب جريدة «المنار» الشيخ رشيد رضا أسئلة طويلة تقصم ظهر النادي وتتسبب في إغلاقه إلى الأبد!

فعندما يقرر أعضاء النادي أداء مناسك الحج عام 1913م يكتب «الخيري» رسالة إلى صاحب المنار باسم أعضاء النادي يسألون عن بعض شعائر الحج التي بدوا أنهم اختلفوا في تفسيرها، كتقبيل الحجر الأسود والطواف وغيرها، وفي رسالتهم سألوا أيضًا عن عدم حج زعماء المسلمين ومفكريهم، كالشيخ رضا نفسه والإمام محمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي، ويجيبهم الشيخ رشيد رضا عن جميع أسئلتهم ولكنه يخبرهم أن الأسئلة هذه بها: «مسّ من الفكر التبشيري المسيحي!».

وقبل أن يكمل أعضاء النادي ربما قراءة إجابة الشيخ رضا، كان القاضي المهزع قد وصله عدد المنار وقرأ كل شيء فيه، وعبر عن غضبه الشديد بما جاء به، بأن أمر بإغلاق النادي في الحال! بل إنه طلب معاقبة أصحاب الرسالة وخاصة «الخيري» كاتبها، حيث: أصدر أوامره بـ«جدع أنفه»!

وقدم أعضاء النادي اعتذارهم إلى القاضي المهزع، وبرروا له مواقفهم على أساس أنهم لم يطلعوا على الأسئلة التي أرسلها الخيري وأنهم غير موافقين عليها.

ودافع «الخيري» عن نفسه بقوله إنه وضع الأسئلة بنيّة حسنة، وكان يقصد تعميم الفائدة وقطع الطريق على ما يروّجه المبشّرون من الدسّ في شعائر الحج!

وحاول الشيخ محمد صالح إقناع القاضي «المهزع» بإعادة فتح النادي. وقام بنظم قصيدة قال فيها:

«ألا في سبيل اللّه علم يذيعه رشيد وصدقي في المنار وفي الدرسِ

لقد سلكنا في دعوة الحق مسلكًا قويمًا وكُنا فيه أوضح من شمسِ
ولولا منار الحق يهدي إلى الهدى بنور لكنَّا اليوم أضيع من أمسِ»

إلَّا أن كل ذلك لم ينفع ولم يجعل القاضي يتراجع عن قراره، بل وزادت الحملة على أعضاء النادي وصاروا يلقبونهم باسم «التسعة الرهط المفسدين في الأرض»!

النادي الأدبي الإسلامي (المنامة) 1913ـ1917م:

في عام 1913م ازداد الصراع ضراوة بين المبشرين الأميركان عبر مؤسساتهم الممثلة بالمستشفى والمدرسة والمكتبة، والبحرينيين بقيادة شيوخ الدين.

ورغم تلك الحرب الضارية إلَّا أن الأساليب العتيقة والبالية لشيوخ الدين وغيرهم في البحرين أمام أحدث أدوات الحضارة جعلت من المثقف والتاجر النجدي البارز والمقيم في البحرين مقبل عبدالرحمن الذكير يحاول ابتكار «مقاومة حضارية» جديدة وعصرية تستطيع إنهاء معركة التبشير بالثقافة والتعليم أحد أهم الأسلحة التي يستخدمها المبشّرون في صراعهم مع الإسلام.

وبالفعل يتخذ «الذكير» قرارًا بإنشاء نادٍ ثقافي ليكون بمستوى التحدّي الحضاري الذي فرضه المبشرون آنذاك على شعب البحرين. ويتفق «الذكير» مع التاجر البحريني المعروف «يوسف كانو» على إنشاء «النادي الأدبي الإسلامي»!

كانت فكرة المشروع، كما أرادها «الذكير» في البداية، هي إنشاء مدرسة حديثة يتعلم منها الطلاب العلوم الحديثة إلى جانب الدين نفسه، أو على الأقل أن تكون مؤسسة تعليمية، مهما كانت

تسميتها، وأن تكون أرقى مستوى من «الكتاتيب» المحلية، وتحاول منافسة المدرسة التبشيرية الأميركية.

لكن أهم وأول مشكلة واجهت الشيخ مقبل هي المال. فمشروع من هذا النوع يحتاج إلى تجهيزات مختلفة تستوجب إيجاد مبنى كبير، ومدرسين من الدول العربية، وكتب وقرطاسية وغيرها من التجهيزات المدرسية. وكانت هذه كلها تتطلب إمكانات كبيرة لن يستطيع هو ولا حتى مجموعة التجار الذين معه إيجادها وتوفيرها، أو الاستمرار في توفيرها.

وبعد محاولات عدة قام بها، وبعد استعراض الكثير من آراء المثقفين والتجار في الجزيرة، استقرَّ رأيه على إنشاء مؤسسة صغيرة تجمع كل ما كان يدور في رأسه.

«فالنادي الأدبي الإسلامي» يمكن أن يكون مدرسة صغيرة تعلم التلاميذ كل علوم الدين الإسلامي، ويضم صفين صغيرين، يدرّس فيهما عدد من شيوخ الدين المحليين المتطوعين. إضافة إلى احتواء المبنى على غرفة صغيرة، رفوف جدرانها مكدّسة بالكتب الإسلامية، وغير ذلك. «فالنادي» يمكن أن يكون ناديًا ثقافيًّا فعلًا بتجميع المثقفين فيه وارتيادهم لمكتبته. والتعليم من خلال الحوار والمناقشات على كيفية الرد على المبشرين.

وبالفعل يباشر النادي فتح أبوابه في أوائل عام 1913م وتكتب الوكالة السياسة البريطانية في بوشهر ضمن تقريرها لشهر نيسان/ أبريل من العام نفسه هذا المقتطف: «افتتح النادي الأدبي الإسلامي (The Bahrain Muslim Litterary Club) مبناه الخاص جوار مكتبة الإرسالية الأميركية».

ويسجل التقرير أن اختيار مبنى النادي يعتبر كأول إشارات المواجهة الدينية والفكرية بين «المكتبة الإنجيلية» و«النادي الأدبي الإسلامي» على الشارع نفسه في سوق المنامة المكتظ بالناس![1].

ومع نجاح النادي عبر مكتبته ومدرسته، يجلب «الذكير» المثقف النجدي عبدالعزيز المانع لكي يدير النادي.

ومع وصول الشيخ «المانع» ينتظم النادي في عمله بانتظام أكثر، وترتب الفصول الدراسية ويعاد تنظيمها بشكل حديث نوعًا ما. كما يزداد عدد رواد المكتبة وانتظامهم على الحضور، بالرغم من تواضعها.

وفي هذا المناخ الجديد الذي أحدثه الشيخ المانع تزداد مناظرات «المسيحية» و«الإسلام» كثافة. فالكثيرون من مثقفي وأهالي البلد صاروا يواظبون على الحضور للاستماع فقط إلى حجج «ابن مانع» في دحض المبشرين وأقوالهم، وبعضهم الآخر يتحلق حول رفوف المكتبة يطالع فيها كتب الغزالي وابن رشد والجاحظ والمتنبي وغيرهم.

ويستمر نجاح «النادي الأدبي الإسلامي» في السنوات التالية وعلى الخطوط والأهداف السابقة نفسها. فبعد أكثر من سنتين تثمر جهود الشيخ مقبل و«ابن مانع» وغيرهما بتكوين قطاع كبير من الأهالي الواعين لخطورة التبشير المسيحي وأهدافه، والرافضين لكل إغراءات «الحضارة (المسيحية) التي تصنع الساعة والكاميرا»!

(1) خالد البسام؛ **خليج الحكايات**، رياض الريس للكتب والنشر، لندن؛ الطبعة الأولى؛ 1993م.

وبالرغم من النجاح الجيد الذي راح النادي يحققه برعاية «الذكير» وبقيادة «ابن مانع» إلّا أن الصعوبات المالية الجديدة التي طرأت على الشيخ «مقبل» راحت تتصاعد كثيرًا![1].

وتتزايد تلك الصعوبات حتى يضطر المثقف النجدي «مقبل الذكير» بعد توقف المجموعة القليلة من التجار البحرينيين الذين كانوا يساعدونه ماديًّا، يضطر عام 1917م بعد خسائره في إمبراطورية اللؤلؤ الفادحة إلى إغلاق النادي بعد أربع سنوات خصبة من العمل الثقافي والتعليمي والحضاري في البحرين.

النادي الأدبي (المحرق) 1920ـ1928م:

بعد تجربة نادي إقبال أوال والنادي الأدبي الإسلامي في المنامة، حاولت مجموعة من المثقفين المتحمسين في جزيرة المحرق الاستفادة من تجربة فشل الناديين وإنشاء «النادي الأدبي».

ولقد كانت قضية المال هي أولى وأهم الدروس المستفادة. فتحاول المجموعة الجديدة ضم أكبر عدد ممكن من التجار والشيوخ الذين يستطيعون القيام بأعباء النادي المالية، مثل مستلزمات المقرّ وتوفير الصحف والكتب وتمويل الأنشطة وغيرها، ونجح النادي في ذلك فعلًا.

أما ثاني الدروس الهامة فهي أن يكون النادي أدبيًّا وثقافيًّا يشجع الثقافة والأدب، ويمثل البحرين في المحافل العربية والأجنبية، وأن يحاول الابتعاد عن الصراعات السياسية، سواء مع القوى المحلية أو الأجنبية.

---

(1) خالد البسام؛ المصدر السابق.

وهكذا يتأسس النادي الأدبي بمجموعة شباب مثقفة يملؤهم الحماس والحيوية أمثال: عبدالله الزائد، قاسم الشيراوي، سلمان التاجر، أحمد الشيراوي وغيرهم، ويشترك معهم الشيخ محمد بن عبدالله آل خليفة ومحمد بن عيسى آل خليفة وإبراهيم بن محمد آل خليفة وغيرهم، بل وتشترك في النادي شخصيات عربية كانت تقيم في البحرين آنذاك، أمثال الشاعر الكويتي خالد الفرج، والشاعر السوري محمد الفراتي ومحمد صالح بحر العلوم والشيخ حافظ وهبة، وأغلبهم كانوا يعملون مدرسين في مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق آنذاك.

ويسجل النادي في سنواته الأولى نجاحات تفوق التوقعات، فبجانب غرفة المطالعة، ينشط النادي في إقامة العديد من الندوات الثقافية والعلمية ويستغل وجود المثقفين العرب في ذلك.

ويمتدح الكاتب اللبناني الشهير، أمين الريحاني، النادي الأدبي الذي زاره واحتفل به أثناء زيارته للبحرين في شتاء عام 1922م حيث يقول: «ولا نزال في سلسلة المدهشات. فإن في البحرين إذا كنت ممن يهمهم الأدب والشعر، نهضة أدبية اجتماعية مباركة. أجل.. إن في هذه الجزيرة من الأدباء والشعراء عددًا ليس بقليل، وذكاءً ليس بضئيل. إن فيها نهضة تقارن أخواتها في الكويت وفي العراق، وتقارن روحًا وطموحًا على الأقل أخواتها في سوريا ومصر. فهذا ناديها الأدبي وفيه المجلات العربية أكثرها وأحسنها، وهذه غرف القراءة وفيه من الكتب الحديثة والقديمة أنفسها»[1].

(1) أمين الريحاني؛ **ملوك العرب**؛ الجزء الثاني؛ دار الريحاني للطباعة والنشر؛ بيروت؛ الطبعة الخامسة؛ 1967م.

«كما كان للنادي أكبر الأثر في تجديد حركة الأدب وتنشيطها في البحرين في تلك الفترة المبكرة، فاتجه أعضاؤه اتجاهًا تقليديًّا مع جنوح للتجديد»[1].

واشتهر «النادي الأدبي» بالدور العربي ومشاركاته الفعالة، حيث شارك النادي في مناسبة تنصيب الشاعر الكبير أحمد شوقي أميرًا للشعراء العرب عام 1927م. فيشترك النادي في الاحتفال بهدية على شكل نخلة صغيرة من الذهب الخالص ذات عروق منضدة باللؤلؤ. ويكتب الشاعر الكويتي خالد الفرج عضو النادي قصيدة البحرين في الاحتفال يقول بعضها:

«من منبتِ الدُّرِّ تسليمٌ وتكريمُ لشاعر اللغة الفصحى وتقديمُ
حيّاك من دارنا البحرين لؤلؤها والنخل إذ بسمت فيه الأكاميمُ
وكيف لا، وهي مهد الضاد إذ درجت فيها غذاها بها شِيح وقيصومُ
ومهبط الشعر فابن العبد شاعرها ومن مفاخرها عمرو وكلثومُ»

ورد الشاعر أحمد شوقي على الهدية والقصيدة بالقول:

قلدتني الملوك من لؤلؤ البحرين آلاءها ومن مرجانِه
نخلة لا تزال في الشرق معنى من بداوته ومن عمرانه

المنتدى الإسلامي (المنامة) 1928-1936م:

كانت الأندية الثقافية، كما تظهر من روزنامة تاريخ البحرين الحديث، وكأنها تنتقل بين مدينتين أو جزيرتين بالأحرى، هما

(1) دراسات في أدب البحرين؛ مصدر سابق.

المحرق والمدينة. فعندما ينتهي نادٍ في المنامة يبدأ آخر في المحرق.

وهكذا يبدأ المنتدى الإسلامي في المنامة بالضبط مع الأيام الأخيرة للنادي الأدبي بالمحرق عام 1928م.

بل إن السبب الرئيس، كما يقول المؤرخ مبارك الخاطر، في إنشاء المنتدى الإسلامي هو أن مثقفي المنامة عجلوا بإنشاء المنتدى بعد أن واجهوا صعوبة في المشاركة في النادي الأدبي بالمحرق بسبب صعوبة المواصلات آنذاك بين الجزيرتين.

لذلك يجتمع كل من: أحمد حسن إبراهيم، علي كانو، محمد عبداللّه جمعة،النجدي محمد صالح السحيمي، محمد الوزان، ويدرسون وضع دستور المنتدى.

وبعد اجتماعات طويلة يتفق الأعضاء في اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير/شباط من عام 1928م على: «أنه بالنظر إلى التطور العصري الحاصل في كافة أنحاء العالم، وإنشاء المعارف يوميًّا، وزيادة الأدباء تدريجيًّا، وتثقف آرائهم، وبما أنهم في معزل عن بعضهم البعض، اجتمع بعض أهل الفكر منهم وقرروا إنشاء نادٍ يضمهم ويجمع كلمتهم لتداول الأفكار والآراء، والسعي لإحياء ما اندثر من علومهم ورفع المستوى الديني والأدبي والأخلاقي بينهم، والتضامن والتعاضد لبثّ تلك الروح بين أفراد الأمة الإسلامية، والسير الذي يصل به الإنسان إلى السعادة الأبدية. فكان إخراج ما قدَّروه إلى حيز العمل والوجود آملين أن تحصل منه الفائدة المرجوة، وقد تقرر وضع المواد الأساسية التي يرتكز عليها النادي».

وعندما انتهت هذه المجموعة من صياغة دستورها المعتمد على «القانون الأساسي لجمعية المسلمين»، التي تأسست في القاهرة

قبلهم بحوالي أربعة شهور، يوقع السير «تشارلز بلجريف» المعتمد البريطاني في البحرين بالموافقة على الوثيقة المقدمة له تحت عنوان: «القانون الأساسي للمنتدى الإسلامي بالمنامة -البحرين» شريطة أن لا يتدخل المنتدى في الشؤون السياسية[1].

بالمقابل يتدخل المنتدى في الشؤون الثقافية بحماس كبير، ويفتح مواسمه الثقافية بمحاضرات أدبية وأمسيات شعرية وندوات دينية هامة حول مولد النبي، وليلة الإسراء وغيرهما. ويسجل المنتدى نجاحات كبيرة عند رواد المنتدى الكثيرين وامتلاء غرف المنتدى ليلًا بالجمهور والمثقفين الذين لا يجد بعضهم مكانًا.

ويشكل مجيء المؤرخ الكويتي «عبدالعزيز الرشيد» إلى البحرين قوة جديدة إلى المنتدى ونشاطه. حيث يجري الاتفاق معه على إعداد دروس منتظمة في الفقه والتشريع وتفسير القرآن الكريم، وإلقاء تلك الدروس كل مساء على من يتحلق حوله من أعضاء المنتدى أو غيرهم، مقابل مكافأة شهرية قدرها مائة روبية، كان الرشيد يستعين بها فقط لتيسير شؤون حياته في المنامة. علاوة على أنه كان يتخذ من مقرّ النادي مكتبًا يحرر فيه مسودات الأعداد المتوالية لمجلة «الكويت». ولكن الرشيد يعتذر بعد عدة أشهر عن مواصلة دروسه اليومية في النادي بسبب انشغاله بالتدريس في مدرسة الهداية، وتحرير مجلة الكويت التي اتخذها المنتدى كلسان حال له، ينشر فيها أهم المحاضرات والخطب والأنشطة الأخرى، علاوة على بعض الأخبار المهمة[2].

(1) خالد البسام؛ **تلك الأيام**؛ مصدر سابق.

(2) خالد البسام؛ **تلك الأيام**؛ مصدر سابق.

مقر المنتدى الإسلامي

ومع بداية عام 1932م، تبدأ المشكلات تطارد المنتدى الإسلامي. وكان على رأس تلك المشكلات ظهور الطبقات الاجتماعية الجديدة في البحرين بعد ظهور النفط، التي وجدت المؤسسات الثقافية كالمنتدى لا تلبي احتياجاتهم الثقافية. وساعد هذا في قلة رواد المنتدى وابتعاد الكثير من الشباب عنه.

لكن السبب الرئيس في غلق النادي عام 1936م كان الحفل التأبيني الذي أقامه النادي في ذكرى الأربعين لوفاة حاكم البحرين السابق الشيخ عيسى بن علي آل خليفة، حيث ألقى الشاعر العراقي محمد صالح بحر العلوم قصيدة حماسية اعتبرتها السلطات قصيدة ضد الحاكم.

وكان مطلع قصيدة الرثاء هي:

«الأرض ترجف والسماء تمورُ والريح تنسف والخليج يفورُ»

ويقول أيضًا:

«لا تحسب التسيير مشورة فخذ عيني لتنظر أنه تسييرُ»

ونفي الشاعر بحر العلوم وأغلق النادي بسبب المشكلات السابقة، وبقصيدة ثائرة!

النادي الأدبي الثاني(المحرق) 1930ـ1936م:

بعد عودة الطلبة البحرينيين المبتعثين للدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت عام 1930م إلى البحرين، وجدوا أن أحد الأحلام التي كانت تراودهم هي الاشتراك في النادي الأدبي بالمحرق (1920ـ1928م). ولكن بعد وصولهم إلى المقرّ صدموا بأن النادي أغلق وأن غرفه مملوءة بخيوط العنكبوت!

وعلى عكس المتوقع، شكلت هذه الصدمة الكثير من الحوافز والحماس بإعادة إحياء هذا النادي العريق مرة أخرى، وإعادة الحيوية لغرفه القليلة بالمحرق.

وبالفعل ينجح أحمد العمران وعبدالعزيز الشملان وعبدالرحمن المعاودة ومعهم مجموعة من المثقفين والتجار أمثال أحمد فخرو وغيره في إعادة إحياء النادي مرة أخرى، وفتح المقر والحصول على مجموعة تبرعات من تجار البحرين لشراء أثاث جديد وكتب، والاشتراك في الصحف العربية وغيرها من المستلزمات، وينجحون في المهمة الأولى.

أما المهمة الثانية فكانت تجديد رخصة فتح النادي ومزاولة

نشاطه من قبل الإدارة البريطانية، الممثلة بالوكالة السياسية. وفي هذه المهمة وجد الطلاب المؤسسون كل عراقيل العالم يضعها الإنكليز أمامهم! ولكن إصرارهم جعلهم في النهاية يحصلون على الموافقة بعد أخذ الكثير من التعهدات والالتزامات بعدم التدخل في الشؤون السياسية وغيرها![1].

وأقام النادي احتفالًا كبيرًا بمناسبة افتتاحه، شارك فيه عدد كبير من المثقفين.

ويجيء يوم الاحتفال متواضعًا، ولكنه بحجم أكبر احتفال يقام في البحرين آنذاك! فعندما غصّت غرف المقرّ في مدينة المحرق بأكثر من خمسين مدعوًّا، قام «أحمد العمران» وألقى كلمة نيابة عن النادي، أوضح فيها هويّة النادي الثقافية والعلمية، وشدد على مسألة ابتعاده عن القضايا السياسية، إضافة إلى محاولة النادي نشر الثقافة وتوسيع قواعدها في البلاد.

وبعد انتهاء خطبة «العمران» تتالت كلمات بعض الشخصيات الأدبية، حيث تحدث كل من: الشيخ محمد صالح خنجي، أحمد شاهين الجلاهمة، وسلمان كمال، عن أهمية إحياء النادي والدور الذي يستطيع أن يلعبه في حياة البحرين الثقافية. وانتهى حفل الافتتاح بحفلة شاي لشخصيات وأعيان البلاد الحاضرين[2].

ونجح النادي أكثر في تزويد المكتبة بأحدث الصحف والمجلات، والتي جعلت الإقبال الشديد على غرفة المطالعة.

---

(1) خالد البسام؛ **خليج الحكايات**؛ مصدر سابق.

(2) خالد البسام؛ **خليج الحكايات**؛ مصدر سابق.

وفي عام 1932م يحتفل النادي بالمثقف العراقي الشهير يونس بحري الذي كان يقوم بزيارة إلى البحرين.

وفي عام 1933م يفتتح النادي الأدبي فصلًا دراسيًّا لمحو الأميَّة وينخرط مع افتتاح هذا الفصل الكثير من أهالي المحرق.

وبعد خمس سنوات من النجاح للنادي الأدبي الثاني، يلاقي النادي المشكلات غير المتوقعة.

ففي بداية السنة الخامسة من عمر النادي، تبدأ الوكالة السياسية البريطانية بخلق المضايقات للنادي بالكثير من الوسائل. فتقوم بفرض رقابة صارمة على بريد النادي، وتحتجز الكثير من الصحف والمجلات، وحتى وهذا هو الأهم، يفقد النادي زواره وضيوفه الذين كانوا يأتون لمطالعة الصحف فقط![1].

وتحاول إدارة النادي أمام هذا «المأزق» الذي جعلها تفقد الكثير من الزوار والكثير من المال، ابتكار مشاريع جديدة ربما تساعد في حل هذه المشكلة. ولكنها أمام كل مشروع تصطدم بعقبات رفض الإنكليز لإقامة أي شيء، حتى ولو كان ندوة صغيرة، ومجلة حائط!

وأمام هذا الوضع، قلَّ حماس الكثير من الأعضاء، وزادت الإيجارات المتأخرة، وكثر انصراف الأعضاء عن النادي بمشاغل حياتهم اليومية. وعندها وجدت المجموعة القليلة من الأعضاء نفسها تخلع اليافطة الحمراء للنادي وتضعها في إحدى الغرف، وتسدد الإيجارات، وتغلق النادي بهدوء عام 1936م![2].

---

(1) خالد البسام؛ **خليج الحكايات**؛ مصدر سابق.

(2) خالد البسام؛ **خليج الحكايات**؛ مصدر سابق.

أندية الثلاثينيات ... العصر الذهبي

لم يحدث اكتشاف النفط في البحرين عام 1932م انقلابًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا فقط، بل جرّت تلك الانقلابات انقلابات خطيرة أخرى لا تقل أهمية، أهمها الانقلاب في تشكيل الأندية من حيث نوعها وتوجهاتها وحتى أشكالها.

فبعد منتصف الثلاثينيات، وموت آخر ثقافي عصري وهو المنتدى الإسلامي عام 1936م، جاءت الأندية إلى البحرين بهوية جديدة لم تألفها البلاد من قبل.

ففي البداية وجد مثقفو تلك الفترة، ومعظمهم من أوائل خريجي المدارس النظامية الحكومية التي بدأت في البلاد عام 1919م، وجد المثقفون أن شكل ونوع الأندية الثقافية القديمة لا تلبي احتياجات الأجيال الجديدة المثقفة التي أصبحت متنوعة الاهتمام سواء في الثقافة أو في الحياة، كما أن عددها الكبير قياسًا بالفترة السابقة أصغر من أن يستوعبها نادي أدبي ثقافي متخصص.

ففي بدايات القرن كان المثقفون والمتعلمون يعدّون على الأصابع وكانوا يحتاجون إلى تجمع يلم شملهم ويفعل أفكارهم، بينما الجيل الجديد من المثقفين ثمار المدارس الحديثة بدا أكبر عددًا بكثير، وبتوجهات تشعر أن الثقافة ليست هي كل شيء في الحياة، «وأن المفروض إدماج الثقافة في المجتمع وجعل الأندية الجديدة متنوعة الاهتمامات والتطلعات والرغبات الحديثة أيضًا»[1].

(1) مقابلة مع المرحوم عبدالعزيز الشملان؛ في شهر سبتمبر/أيلول؛ من عام 1986م.

وهكذا ولدت الأندية الجديدة متنوعة الاهتمامات ومتعددة الأشكال ومختلفة الميادين، فتأسست جميع الأندية في البحرين بعد منتصف الثلاثينيّات على أساس أنها أندية ثقافية ورياضية وفنية واجتماعية.

واستفادت الأندية من ذلك التنوع الكبير الذي نشأت فيه مثل أندية (البحرين، العروبة، الأهلي) ليس فقط باحتضانها لتلك الأنشطة والفعاليات المتناقضة أحيانًا، بل أعطتها زيادة هائلة في شعبيتها، وجعلتها أندية شعبية حقًّا تزيد عضويتها على مئات الأعضاء، في الوقت الذي عانت فيه الأندية الأدبية منذ مطلع القرن العشرين وحتى منتصف الثلاثينيّات من العدد القليل والمحدود من الأعضاء الذين لا يزدادون ولا ينقصون، يمارسون أنشطتهم في عزلة عن المجتمع إلّا فيما ندر.

وأعطى هذا التنوع لأندية الثلاثينيّات زيادة في الشعبية الكبيرة التي وصلت إلى درجة تمني الكثيرين من المتعلمين أن يكونوا أعضاء في أحد الأندية. ففي شهر سبتمبر/ أيلول من عام 1943م يكتب أحد البحرينيين من المنامة رسالة إلى نادي العروبة يقول: «إنه يتمنى لو أن إدارة النادي تحقق إحدى أهم أمنياته وأحلامه وهو الاشتراك في النادي» ويحقق النادي حلمه ويجعله يشترك!

واستفادت الأندية من شعبيتها الكبيرة، فتفاعلت أكثر مع قضايا المجتمع ومشكلاته وحاولت في كثير من أنشطتها وفعالياتها المساهمة في حلها.

فقد اشتركت الكثير من الأندية مثل (العروبة، البحرين وغيرها) في برامج محو الأمية وفتحت الأندية أبوابها للمتطوعين في التدريس والأميين للتعلم وسجلت نجاحات لا بأس بها في هذا المجال.

ولعبت «أندية العصر الذهبي»، وهي تحديدًا من الثلاثينيّات وحتى الستينيّات، دورًا لا يقل أهمية عن محو الأمية وهو زيادة وعي المتعلمين والمثقفين عبر قاعات المطالعة والقراءة والمكتبات الجيدة التي فتحت أبوابها للجميع بدون استثناء.

ففي تلك الفترة الزاهية تنافست معظم الأندية الكبيرة خصوصًا على جلب الصحف والمجلات العربية الثقافية والسياسية، والاشتراك في أهمها وعرضها في قاعات المطالعة والمكتبات، وعملت ـ كما تدل محاضر جلسات كل من أندية البحرين والأهلي والعروبة ـ على توفير جميع المجلات والاشتراك فيها مهما كانت أثمانها.

ومن المؤكد أن تلك القاعات الصغيرة والمكتبات المتواضعة ساهمت في زيادة الوعي السياسي والوطني والتحرري لدى الكثير من الناس، ولعبت أدوارًا هامة في تشكيل وعيهم وأفكارهم في وقت كانت غالبية الناس في أوضاع مادية صعبة لا تستطيع شراء مجلة أو جريدة، في وقت كانت الأندية في كثير من الأحيان تستطيع جلب مجلات وجرائد عن طريق الاشتراك بالبريد كانت ممنوعة بأمر الرقابة البريطانية في الأسواق.

ومن داخل هذه الأندية الذهبية الكبيرة بدأت أفكار الحركات الوطنية في البحرين في الانتشار، وساهم زعماؤها وهم أعضاء في تلك الأندية مثل عبدالرحمن الباكر (نادي العروبة) وعبدالعزيز الشملان (نادي البحرين) في بثّ وترويج أفكارهم المناهضة للسلطات الاستعمارية البريطانية.

وبدت بعض الأندية وخاصة في الأربعينيّات والخمسينيّات، كما في الستينيّات والسبعينيّات، وكأنها مراكز لتجمعات سياسية وطنية ولكن بواجهات ولافتات ثقافية ورياضية.

فبسبب انعدام الحريّات وعدم وجود صحافة حرة ومنع قيام التجمعات، وجدت الحركة الوطنية أن الأندية هي المكان الوحيد الذي يمكن أن تمارس فيها عملها في توعية الجماهير ونشر أفكارها وكسب الأنصار وغير ذلك.

وبجانب قاعات المطالعة والمكتبات وقراءة الصحف، كان مناخ الأندية نفسها وأجواؤها يساعد في زيادة الوعي السياسي وينمي النهوض التحرري والقومي، وكان هذا المناخ يتمثل بجانب القراءة على الندوات الأسبوعية وشبه الأسبوعية التي كانت تقيمها والمحاضرات التي تلقى بين فترة وفترة، وحلقات النقاش التي تقيمها تلك الأندية.

وكل هذه العوامل أيضًا أدت إلى وعي هام لدى البحرينيين في قضاياهم القومية، وأسس عندهم فهمًا عميقًا للعروبة، وجعلهم يشعرون بانتمائهم العربي وضرورة مشاركتهم في الهموم والقضايا العربية.

وخارج الوعي السياسي والوطني والقومي شاركت «الأندية الذهبية» في النهوض والارتقاء بالمسرح وباقي الفنون الأخرى.

فعندما وجدت تلك الأندية أن البلاد خالية من فرق مسرحية وجمعيات فنية منوعة، شاركت بفعالية في إنتاج وإخراج وتمثيل مسرحيات حديثة أقامتها بجهود ذاتية وإبداعية بسيطة.

فقد ساهم نادي البحرين بالمحرق ـ الذي كان أهم أندية البحرين اهتمامًا بالمسرح ـ في تمثيل أكثر من مسرحية للشاعر أحمد شوقي أخرجها الشاعر عبدالرحمن المعاودة، فقام في الأربعينيات بإخراج وإنتاج وتمثيل عدد من المسرحيات لاقت حضورًا وإعجابًا

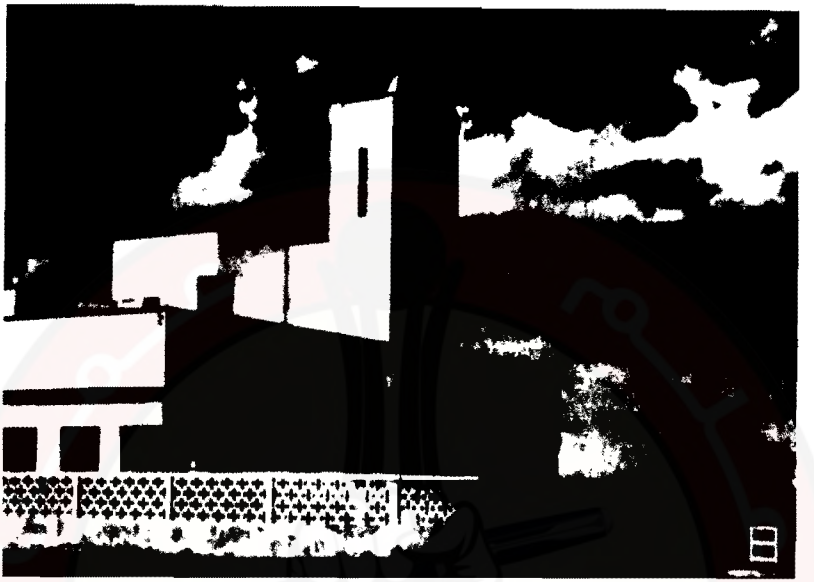

مبنى نادي البحرين بالمحرق

جماهيريًّا كبيرًا وساحقًا. كما قام النادي الأهلي ونادي العروبة ببعض المسرحيات الصغيرة.

وبجانب المسرح نهضت «الأندية الذهبية» بباقي الفنون فرعت الفنون التشكيلية وأقامت في قاعاتها بعض المعارض للرسم والتصوير.

أيضًا لم تنس الأندية موضوع الرياضية، فاهتمت بها كثيرًا وقدمت لأعضائها الكثير من الألعاب المتوفرة آنذاك في البحرين، وخاصة الألعاب الصغيرة التي يمكن اللعب بها داخل النادي. وساهمت بفعالية في تطوير الكثير من الألعاب الرياضية الجماعية منها والفردية.

وبينما اهتمت أندية مثل البحرين والأهلي مثلًا برياضة كرة

القدم وشاركت في جميع المسابقات الكروية في البلاد، اهتمت أندية أخرى مثل العروبة بالرياضات الفردية وركزت أكثر على الأنشطة الثقافية والفنية.

غير أنه يمكن القول إن توليفة أندية الثلاثينيّات الذهبية جاءت بميزة هامة وهي إمكانية الجمع بين الثقافة والرياضة، وإن النادي الواحد يمكن أن يجمع بين الكرة والكتاب وإنه لا يوجد تعارض كبير بينهما، بل إن كليهما يمكن أن يخدم النادي نفسه.

وسارت هذه المعادلة بجانب معادلة الأنشطة المتنوعة لسنوات طويلة، كانت تتخللها زيادة أنشطة الرياضة على حساب الثقافة أو العكس، حسب الإدارات والإمكانيات والظروف.

ولم تكتف «أندية الثلاثينيّات الذهبية» بزيادة شعبيتها في البحرين فقط، بل إن هذه الشعبية وتلك الأنشطة التي لا تهدأ في بلد صغير، جعلها مع الوقت لا تستوعب الأعداد الهائلة من المتعلمين والمثقفين وطلاب الثقافة وفنون الحياة، لذلك أنشئت مع بداية الخمسينيّات والستينيّات عشرات الأندية الصغيرة ملأت الكثير من القرى وأحياء المدن الكبيرة في البحرين بشتى التسميات والأهداف والأنشطة، لكن سيطرت عليها لعبة وحيدة ذات شعبية ساحقة هي كرة القدم.

ويمكن تعداد أهم أندية الثلاثينيّات الذهبية على النحو التالي:

نادي البحرين1937م:

بعد عام 1935م، توقفت ثلاث فرق كروية هامة في البحرين هي «الوطنية» و«الاتحاد» في المنامة و«الخليفية» بالمحرق.

وبسبب ذلك أسست مجموعة شباب في المجموعة يهوون لعب كرة القدم فريق الشبيبة الرياضي، ثم تغير إلى «فريق الفتيان الرياضي». وبعد شهور من اللعب وجد أعضاء الفريق أنهم بحاجة إلى مقرّ يجمعهم، وهكذا فكروا لأول مرة في تأسيس نادٍ. ويروي أحد المؤسسين وهو المرحوم عيسى الحادي بداية نادي البحرين قائلًا: «فكرنا في البداية بالبحث عن مقرّ مناسب لاجتماعنا فطرح بعضنا فكرة إنشاء نادٍ نجتمع فيه يوميًّا خاصة في الأمسيات، وذلك بصورة دائمة وعلى مدار السنة. وانطلاقًا من هذه الفكرة، وسعيًا وراء ملء أوقات الفراغ، التقت آراء الجميع في صورة توسيع النشاطات واشتمالها على النواحي الأدبية والاجتماعية. وبالفعل وجد الجميع في هذه الرغبات مدخلًا لتأسيس النادي. ولذلك كتبنا بيانًا ضمناه مبادئ وأهداف النادي، وطفنا به على الشباب في الأحياء ندعوهم إلى تأييد الفكرة والانضمام إلى النادي. وحصلنا خلال هذه الجولات على تواقيع عدد لا بأس به، وكانوا جميعًا في أعمار تتراوح بين السادسة عشرة والعشرين سنة.

وبعد أيام قليلة استأجرنا بصورة مبدئية مبنى «بن جلال» الواقع شمال سينما المحرق ليكون مقرًّا للنادي. ولم يكن المبنى القديم وقتها مكونًا سوى من غرفتين ومرفق وسطحين فقط!

وما زلت أتذكر حتى الآن الاجتماع الأول! كانت الحجرة التي تمَّ فيها الاجتماع ضيقة لا تتسع لعدد الأعضاء، كما أن أثاثها كان عبارة عن مقاعد طويلة استعيرت من أحد المقاهي. أما الإضاءة فكانت بالسراج المضاء بالكيروسين.

لم ينته الاجتماع الأول إلَّا وقد قارب عدد أعضاء النادي على

المائة عضو، كان من أبرزهم شاعر الشباب «عبدالرحمن المعاودة»، وعبدالعزيز الشملان وراشد الزياني وغيرهم كثيرون.

بعد شهر واحد تقريبًا دعيت الجمعية العمومية للانعقاد، وبالضبط في أوائل شهر أكتوبر/ تشرين الأول من عام 1938م. وعندما اكتمل النصاب القانوني ألقى «الشملان» كلمة ترحيبية، وتمَّ بعدها اختيار اسم النادي، وانتخاب الهيئة الإدارية التي تكونت من الرئيس: عبدالعزيز الشملان، السكرتير: راشد الزياني، أمين الصندوق: محمد الحسن المحامي، إضافة إلى أربعة أعضاء إداريين[1].

وبجانب الأنشطة الثقافية البسيطة التي بدأ النادي عمله فيها، وجد النادي نفسه أمام مشكلة مالية وهي مشكلة كانت مستعصية لدى جميع أندية البحرين آنذاك.

ووجد النادي الحل في تمثيل بعض المسرحيات. وبالفعل قررت إدارة النادي تمثيل مسرحيات شهيرة مثل «مجنون ليلى» و«كليوباترا» للشاعر أحمد شوقي وقام بالإخراج الشاعر عبدالرحمن المعاودة. وبعد نجاح تلك المسرحيات شعبيًّا وماديًّا ومعنويًّا، كرَّر النادي تلك التجارب المسرحية. فقام في الأربعينيَّات أيضًا بتمثيل مسرحيات أخرى مثل «قيس ولبنى» لعزيز أباظة وغيرها.

وخارج النشاط المسرحي راح نادي البحرين يدخل في منافسة شديدة مع الأندية الجديدة كالعروبة والأهلي على إقامة المناظرات الأدبية والاحتفالات الدينية والوطنية. وتعبر جلسات محاضر النادي

(1) أوراق نادي العروبة؛ عام 1943م.

على فوزه بحصة الأسد في جميع الاحتفالات المتنافس عليها لحيوية ونشاط أعضائه أولًا ولكونه أقدم منها ثانيًا.

كذلك نشط النادي في إقامة الأمسيات الشعرية التي تميز بها على باقي الأندية، بسبب وجود الشاعرين عبدالرحمن المعاودة وقاسم الشيراوي في عضويته.

ويبقى نادي البحرين، رغم كل أنشطته الثقافية والفنية والرياضية المتنوعة، واحدًا من أهم أندية البحرين اهتمامًا بالسياسة والتصاقًا بالحركة الوطنية التي كان الكثير من نشاطاتها البارزين كعبدالعزيز الشملان وعبدالرحمن المعاودة وغيرهم أبرز أعضاء النادي.

ويسجل المستشار البريطاني السابق في البحرين، تشارلز بلجريف، في تقرير سري عن أندية البحرين كتبه للوكيل السياسي البريطاني في اليوم الرابع من شهر فبراير/ شباط من عام 1948م حيث يقول في الفقرة عن «نادي البحرين»: «النادي ثقافي بالدرجة الأولى. وفي رأيي الشخصي فإن النادي سياسي، بل إنه أكبر نادٍ له نشاط سياسي في البحرين، بالرغم من سرية ذلك»[1].

وواصل النادي اهتماماته الثقافية والفنية حتى نهاية الستينيّات. ومع بداية السبعينيّات اهتم ضمن المناخ السائد بالرياضة أكثر، وصار واحدًا من أندية الرياضة الهامة في البحرين.

نادي العروبة 1939م:

وجد حوالي ستة وأربعين شخصًا متعلمًا في مدينة المنامة

(1) خالد البسام؛ **تلك الأيام**؛ مصدر سابق.

أنفسهم في بداية عام 1939م أنهم بحاجة إلى تجمع يحقق ولو بعض طموحاتهم وأحلامهم.

وبالفعل تتجمع تلك المجموعة برئاسة مثقف معروف هو محمد دويغر ويقررون تأسيس «نادي العروبة» وبأهداف ثقافية وعربية. وكانت ضمن أهدافه: العمل على تنمية الوحدة الوطنية وبثّ الوعي الاجتماعي والقومي في صفوف أعضائه.

مبنى نادي العروبة بالمنامة

وكان من المؤسسين للنادي كل من: حسن الجشي، جعفر الناصر، محمود يوسف خنجي، يوسف زليخ، عبدالرسول التاجر، سيد رضا الموسوي، ميرزا العريض، جعفر الصالح وإبراهيم الخياط وغيرهم.

ولم يكن مقرّ النادي سوى بيت واسع قديم في شارع الشيخ عبدالله، وكان هذا البيت يعود لدائرة أموال القاصرين التي كان يرأسها في نفس الوقت المرحوم محمد دويغر رئيس النادي. كما أن المبنى حسبما يتذكر المرحوم حسن المدني ـ أمين السر الأسبق للنادي ـ يشتمل على غرفة واسعة مستطيلة الشكل خصصت لاستقبال الأعضاء وزوار النادي. وفي جانب منها طاولة كبيرة لمطالعة الصحف والمجلات. كما كانت توجد غرفة أخرى مخصصة للشطرنج والكيرم والطاولة. إضافة إلى غرفة صغيرة في سطح النادي يوجد بها جهاز الراديو يتجمع فيها الأعضاء ومن أبرزهم الشاعر الشهير إبراهيم العريض. حيث كان الأستاذ العريض يحضر مبكرًا وقبل مجيء الأعضاء ويجلس على أحد الكراسي ويبقى الساعات الطويلة عاكفًا على القراءة أو يقوم بإعداد وترجمة الأخبار لإذاعة البحرين القديمة أيام الحرب العالمية الثانية[1].

ولم يقف تواضع المقرّ وضعف الإمكانيات أمام طموحات النادي وحماس أعضائه. فبعد سنوات قليلة يثبت نادي العروبة نفسه ضمن خارطة أندية البحرين كواحد من أكبر الأندية في البلاد وأكثرها نشاطًا، وخاصة في الثقافة والفن.

ويقيم النادي الكثير من المحاضرات للزائرين العرب والندوات للمثقفين المحليين، وأقام في الأربعينيّات والخمسينيّات ندوة مساء كل يوم اثنين، يتبارى فيها الأعضاء بتقديم نتاجهم من المطالعة والثقافة والقصائد وغيرها. كما درج النادي على الاحتفال بجميع

(1) تشارلز بلجريف؛ تقرير حول أندية البحرين للمستشار؛ عام 1948م؛ محفوظ في سجلات مكتب الهند؛ لندن.

المناسبات. «ولا زلت أتذكر أن قاعة النادي الصغيرة كانت لا تتسع للحضور الكبير، فنضطر لإقامتها في ساحة (المدرسة الشرقية) ولا أتذكر أن رجلًا من رجال الفكر والأدب زار البحرين إلَّا وشارك النادي في الاحتفاء به». كما يقول المرحوم حسن المدني[1].

وبجانب الندوات ينشط النادي في إقامة الاحتفالات الدينية والمناسبات القومية الكبيرة، ويهتم بباقي الفنون الأخرى كالمسرح والسينما والفنون التشكيلية، لكن النادي لم يهتم بالألعاب الرياضية الجماعية مثل كرة القدم وغيرها، وظل هذا الابتعاد عن الرياضة الجماعية حتى الآن.

ويتميز نادي العروبة عن غيره من أندية البحرين جميعها بكونه النادي الوحيد الذي أبقى على أنشطته الثقافية والفنية والفكرية على حالها، ولم يدخل في منافسات بقية الأندية العريقة الأخرى كالبحرين والأهلي في الرياضة وإهمالها للأنشطة الثقافية، بل إن نادي العروبة زاد في أنشطته وفعاليتها وأصدر مجلة ثقافية دورية باسم «العروبة».

النادي الأهلي 1939م:

في اليوم السادس والعشرين من شهر يناير/ كانون الثاني من عام 1939م وجدت مجموعة من مثقفي ومتعلمي مدينة المنامة حاجة شديدة لتأسيس نادٍ ثقافي ورياضي بعد أن خلت الساحة وخاصة في المنامة من الأندية والمنتديات الثقافية.

وهكذا كتب في محضر تأسيس النادي ما يلي: في الساعة

(1) خالد البسام؛ **تلك الأيام**؛ مصدر سابق.

الثانية والنصف «بالتوقيت العربي» من ليلة الثلاثاء الرابع من شهر ذي الحجة سنة 1357هـ انعقدت جلسة تأسيس النادي الأهلي في عمارة كانو. وكانت مؤلفة من حضرات:

1 ـ عبدالرحمن الحاج خليل المؤيد

2 ـ خليفة القصيبي

3 ـ أحمد كانو

4 ـ إبراهيم الحاج خليل كانو

5 ـ محمد كانو

6 ـ عبدالله المهزع

7 ـ حسن المهزع

8 ـ كمال المهزع

9 ـ أحمد الجابر

10 ـ عبدالرحمن عبدالغفار العلوي

11 ـ إبراهيم الخلفان

12ـ عبدالرحمن تقي

13ـ سلطان سيف.

وقد تقرر في الاجتماع ما يأتي:

أ ـ تسميته بـ «النادي الأهلي».

ب ـ أن يكون أدبيًّا رياضيًّا محضًا ليس له أي دخل في السياسة أو الدين.

وفي الجلسة نفسها جرى انتخاب الهيئة الإدارية، حيث اختارت عبدالرحمن المؤيد رئيسًا وكمال المهزع سكرتيرًا. كما جرى أيضًا اكتتاب للنادي بين الأعضاء المؤسسين بلغ مائة وست عشرة روبية. وتبرع كل من عبدالرحمن المؤيد بمجلتي «اللطائف المصورة» و«السجل» وخليفة القصيبي بـ «فتى الغرب» و«الرابطة العربية» و(طاولة تنس كاملة)، وأحمد كانو بمجلتي «الدنيا» و«الاثنين» و(كيرم)!. وعندما انتهى مؤسسو النادي الأهلي من قضايا تأسيس النادي شرعوا في جلستهم الثانية بإقرار قانون ناديهم الذي احتوى على خمسة بنود متصلة بتسمية النادي وأهدافه وتكوينه الإداري وطريقة انتخاب هيئته، ووافق المجتمعون أيضًا في الجلسة نفسها على لائحة النظام الداخلي المكون من عشرة بنود أساسية تتعلق بكيفية الاشتراك ورسمه ومواعيد اجتماعات الهيئة الإدارية واختصاصات أمانة المكتبة و«لا يقبل النادي الزيارة الخارجية لأكثر من مرتين في الشهر».

في نهاية الجلسة الثانية تقرر انتخاب السيد أحمد الجابر «كابتن» لفريق النادي الأهلي لكرة القدم. وتقرر أن يفتح النادي من الساعة العاشرة قبل الظهر إلى المغرب، ومن الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة ليلًا، وذلك في سائر الأيام.

وبعد انتهاء النادي من قضايا تأسيسه وإقراره لنظامه الأساسي ولائحته الداخلية، بدأ الأعضاء يمارسون نشاطهم في مقرّهم ببناية «هلال المطيري»، وراحت اجتماعات الهيئة الإدارية تأخذ شكلها الطبيعي، ووصل عدد الأعضاء إلى خمسين عضوًا[1].

(1) مقابلة خاصة مع المرحوم حسن المدني في أكتوبر/ تشرين الأول 1983م.

مبنى النادي الأهلي بالمنامة

ومع بداية سنوات التأسيس الصعبة يشارك النادي الأهلي مع الأندية الثقافية الأخرى كالبحرين والعروبة والتنافس في المحاضرات والندوات وإقامة الاحتفالات وغيرها، ويسجل النادي الأهلي حضورًا مميزًا في هذا الشأن. ويتميز النادي بتقديم العديد من المسرحيات في الأربعينيّات التي أخرجها المثقف محمود المردي. ويشارك النادي في الكثير من الأنشطة الوطنية والقومية أهمها الاحتفال بزيارة بعثة ضباط مصريين عام 1955م. غير أن النادي الأهلي يظهر مع بداية السبعينيات بعد انضمام فرقة كروية إليه مثل النسور والترسانة، اهتمامًا أكبر للمشاركة في الألعاب الرياضية الجماعية، لذلك تظهر كل أنشطته وفعالياتها وتذهب عضويته إلى الرياضة وتصاب الثقافة كغيرها في بقية أندية البحرين بإهمال كبير.

ومع بداية الأربعينيّات تتأسس في البحرين أندية ثقافية ورياضية صغيرة تحاول منافسة الأندية الذهبية الكبيرة (البحرين، العروبة، الأهلي). فيتأسس عام 1941م «نادي الإصلاح الخليفي» الذي أنشأه طلاب مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق، ثم يتغير اسمه إلى «نادي الإصلاح» وترتبط أنشطته جميعها منذ ذلك الوقت بالأنشطة والفعاليات الدينية فقط، ويبقى وثيق الصلة بحركة الإخوان المسلمين.

أما «نادي النهضة» بالحدّ فيتأسس في مدينة الحدّ وله أهداف ثقافية ورياضية، وقام بالعديد من الأنشطة، غير أن فعالياته ظلت محدودة في المدينة نفسها، وبقيت له «أهمية قليلة يمكن إعطاؤها لسياسات هذا النادي»، كما يقول تشارلز بلجريف في تقريره السابق[1].

وفي الخمسينيّات تأثرت الأندية بالمدّ الوطني والقومي الكبير الذي انشغلت به جماهير البحرين مع قيام ثورة 23 يوليو/تموز من عام 1952م في مصر ومبادرات الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، فتوقف الكثير من الأنشطة الثقافية والرياضية وازداد اهتمام الأندية وأعضائها بالسياسة، وراحوا يقرؤون الصحف المصرية بكثافة، وكانت أجهزة الراديو في الأندية مخصصة في كثير من الأحيان لسماع إذاعة صوت العرب وخطب عبدالناصر[2].

ورغم هذا الانشغال الواضح بالسياسة والحركة الوطنية من عام 1954م وحتى عام 1956م المعروف باسم حركة هيئة الاتحاد

(1) خالد البسام؛ **تلك الأيام**؛ مصدر سابق.

(2) تشارلز بلجريف؛ **تقرير حول أندية البحرين**؛ مصدر سابق.

الوطني بقيادة عبدالرحمن الباكر وعبدالعزيز الشملان، إلّا أن ذلك لم يمنع من تأسيس أندية جديدة. حيث تأسس كل من الأندية سنايس (1953م)، جد حفص (1953م)، البديع (1955م)، قلالي (1957م)، سترة (1957م)، النعيم (1958م)، الرفاع الشرقي (1958م)، بني جمرة (1959م)، المحرق (1959م) وينشأ «نادي الفجر» بالمنامة عام 1955م ذو التوجه اليساري الذي لاقى حربًا عنيفة من الكثير من أندية البحرين ذات التوجهات «القومية» آنذاك.

وفي السّتينيّات خرجت الأندية السياسية والهموم الوطنية لتنطق في أنشطة رياضية وتؤسس فيما بينها مسابقات رياضية جماعية مثل كرة القدم والسلة والطائرة وغيرها. وفي هذه السنوات تأسست أندية جديدة مثل: الدير (1961م)، البسيتين (1961م)، الحالة (1961م)، توبلي (1962م)، الديه (1963م)، دار كليب (1963م)، المعامير (1963م)، سماهيج (1963م)، الزلاق (1964م)، باربار (1964م)، الرفاع الغربي (1966م)، اتحاد الريف (1966م)، مدينة عيسى (1968م)، النويدرات (1968م)، كرزكان (1969م)، النبيه صالح (1969م).

وتميز نادي الخريجين عن بقية الأندية التي تأسست في الستينيّات بكونه النادي الوحيد ربما المكون على أساس ثقافي بحت، وكان الهدف من تأسيسه هو لمّ شمل الخريجين والعمل على نشر الثقافة في البلاد وتشجيع المزيد من الطلبة لمواصلة دراساتهم الجامعية[1]. وبقي نادي الخريجين يعمل في البحرين كواحد من أهم وأنشط الأندية الثقافية.

(1) مقابلة خاصة مع المرحوم حسن المدني؛ مصدر سابق.

وسجلت بدايات الستينيّات وحتى نهاية العقد ظهور أندية كروية برزت في لعبة كرة القدم، وحققت شعبية ضخمة وجمهورًا واسعًا أبرزها العربي (1960م)، والترسانة (1957م)، والنسور (1952م) في المنامة ونادي المحرق (1959م) في مدينة المحرق. وعبرت تلك الفرق أيامها عن بروز أندية رياضية كروية خالصة لا تعبأ بالثقافة والأدب على الإطلاق، لكنها تأثرت كحال المجتمع كله بالتيارات القومية والناصرية. وشكلت ظاهرة الفرق الكروية ظواهر جديدة في أندية البحرين مثل وجود مشجعين متعصبين لكل فريق. كما تميزت نهاية الستينيّات بقيام تجمع ثقافي هام وبارز في البحرين وهو «أسرة الأدباء والكتاب» التي تأسست عام 1969م.

وكان من أبرز مؤسيسها الأدباء: قاسم حداد، علي عبداللّه خليفة، محمد عبدالملك، الدكتور محمد جابر الأنصاري الذي كان أول رئيس لها. ومنذ بداية عملها حاولت الأسرة تحريك الجو الأدبي وإنعاش حركة الإنتاج الفكري. فنظمت في سنواتها الأولى المواسم الأدبية العامة التي احتوت العديد من الندوات والأمسيات الشعرية كما اهتمت بعقد لقاءات خاصة بالأعضاء تقام مرتين في الشهر لتبادل الرأي حول قضايا الفكر والأدب. ورفعت الأسرة شعار «الكلمة من أجل الإنسان»[1].

وشاركت الأسرة في العديد من المؤتمرات والندوات العربية والدولية وأوصلت صوت أدب وأدباء البحرين إلى الخارج. وتولت أسرة الأدباء في بعض الفترات الاهتمام بطبع ونشر كتب ودواوين أعضائها، إلّا أنها توقفت عن ذلك بسبب عدم قدرتها المالية.

---

(1) منصور محمد سرحان؛ **واقع الحركة الفكرية في البحرين 1940-1990م**؛ مكتبة فخراوي؛ البحرين؛ 1993م.

كما أصدرت مجلة «كلمات» الدورية لسنوات طويلة كانت من أفضل المجلات الأدبية في الوطن العربي وشارك فيها الكثير من الأدباء والكتاب العرب.

وفي السبعينيّات والثمانينيات والتسعينيات الميلادية طغت الرياضة وأنشطتها وفعالياتها على معظم أندية البحرين، وصارت هي الاهتمام الوحيد تقريبًا لأعضاء الأندية.

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

إئتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

اكتشاف النفط
في القرن العشرين

البئر رقم واحد في البحرين تغيّر المنطقة!

عندما بدأت آلات الحفر الضخمة تدقّ ضرباتها بعنف في أراضي البحرين في بداية الثلاثينيّات لم يكن في خيال مئات العمال البحرينيين والأجانب والمهندسين الجيولوجيين أن «الذهب الأسود» الذي سيغرق هذه الأرض يمثل هذه الخطورة العظيمة التي ستقلب هدوء هذه الجزر الصغيرة المتناثرة في منتصف بحر الخليج وتقلبها رأسًا على عقب. بل إنه حتى مدراء الشركات النفطية المتعددة الجنسيات وموقعي الاتفاقيات وغيرهم من كبار العقول المخططة لم يكن يخطر في بالهم أن هذه الآبار الصغيرة ستخلق مجتمعات جديدة تنفعل مع الزمن وتتطور مع الحضارة في كل مدينة وقرية في بلدان الخليج!

وقتها كانت تلك الشركات تبحث عن مواطئ أقدام هنا وهناك في خارطة العالم، وطبعًا عن نفط «وذهب أسود» يجلب ملايين النقود ويحول تلك المكاتب الصغيرة في عمارات تكساس ونيويورك ومونتريال إلى شركات كبيرة وناطحات سحاب. وبجانب ذلك، كانت الشركات تلهث لإرضاء حكوماتها ليس بنصيب من صفحات المال فقط بل ـ وهذا هو الأهم ـ باتفاقيات طويلة الأمد

تتيح لتلك الحكومات الغربية التمتع بمواقع نفوذ داخل بلدان الخليج تمنحها الأرض والمال والنفط والتدخل في السياسة في كثير من الأحوال!

في منتصف عام 1922م وجدت شركة نفط بريطانية صغيرة تدعى «المؤسسة الشرقية العامة» في أحد موظفيها كل الشروط التي تريدها، والأهم: كل الحماس الذي تبحث عنه.

وهكذا استدعى مدير المؤسسة النيوزيلندي الميجور «فرانك هولمز» وأخبره عن إمكانية اكتشاف النفط في منطقة الخليج، وضرورة الإسراع في بحث الدراسات الجيولوجية قبل أن تدخل المنافسة شركات أخرى. وبعد مناقشات طويلة وعرض بعض الخرائط الأولية اتفق الميجور هولمز مع مدير شركته على البدء فورًا بزيارات ميدانية للمنطقة والقيام بإعداد الخرائط الجيولوجية الهامة هناك.

وفي الواقع كان حماس «هولمز» كما تذكره الكثير من الكتب حماسًا لا يصدق لاكتشاف النفط، علاوة على الحماس دراية واهتمام كبيران بالمنطقة ونشاط غير عادي. وبعد أيام قليلة يسافر «هولمز» إلى المنطقة. وبعد أشهر قليلة تمكن من القيام بجميع ما طلب منه وأكثر. وأيقن «هولمز» أن النفط يقع تحت رجليه، وأن هذا الخليج ينام على وسادة كنوز سائلة سوداء لا يعادلها في نظره سوى كنز سليمان الذي قرأ عنه في كتب الأساطير الشرقية!

ومع الوقت راح «هولمز» يخطط على مدى بعيد. ففي بداية عام 1924م نجح في إقناع نائب حاكم البحرين آنذاك المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، بإمكانية استخراج المياه العذبة من آبار ارتوازية تحفر فوق أرض الجزيرة، وكانت البحرين تعتمد كليًّا حتى

ذلك التاريخ على ينابيع من الماء العذب تحت سطح البحر حول سواحل البحرين، ونظرًا لحاجة البحرين الماسة للمياه العذبة تمَّ توقيع اتفاقية بين هولمز ممثلًا للمجموعة الشرقية ونائب حاكم البحرين، تعهدت المجموعة الشرقية بموجبها بحفر عشرات الآبار مقابل ستة وثلاثين ألف جنيه استرليني. وبالفعل تمَّ الحفر وتمَّ استخراج المياه العذبة من على أرض الجزيرة وذلك في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1925م.

ميجور فرانك هولمز

وكما هو واضح، استغل الرائد هولمز هذه العملية وعملية حفر الآبار الارتوازية، لتكليف تي. جي. مادجويك، وقد كان أستاذًا للتعدين في جامعة برمنجهام وله خبرة طويلة في موضوع النفط، بأن يشرف على عملية حفر الآبار الارتوازية في البحرين وفي الوقت نفسه أن يدرس الطبقات الجيولوجية السطحية لتحديد أماكن إمكانية حفر بئر استكشافية في المنطقة. وبالفعل قدَّم مادجويك تقريرًا حول إمكانية حفر بئر استكشافية في البحرين. ولدى عودة هولمز إلى البحرين في شهر نوفمبر/تشرين الثاني من عام 1925م وبعد أن تأكد وجود مصادر مياه عذبة ممتازة على أرض الجزيرة عاد إلى السطح موضوع الامتياز النفطي في البحرين، حيث قدمت المجموعة الشرقية بواسطة هولمز مسودة اتفاقية لامتياز نفطي في البحرين وافق عليها الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة من حيث المبدأ، إلَّا أن وزارة المستعمرات البريطانية لم تقرّ هذه الاتفاقية، وبالتالي لم تنصح سمو حاكم البحرين بقبولها بسبب كون هذه الاتفاقية تعتمد مبدأ المشاركة في الإنتاج. وأصرّت على أن تتضمن الاتفاقية عوائد محددة، لذا أعادت وزارة المستعمرات البريطانية مسودة الاتفاقية إلى المجموعة الشرقية لإعادة المفاوضات على أساس العوائد الثابتة. وفي اليوم الثاني من شهر ديسمبر/ كانون الأول من عام 1925م منح سمو نائب حاكم البحرين آنذاك الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة إلى شركة ايسترن آند جنرال سينديكات «المجموعة الشرقية» امتيازًا يتضمن:

أ ـ رخصة مدتها سنتان لاستكشاف النفط في جميع مناطق البحرين، مع الحق بتجديد مدة هذه الرخصة «رخصة الاستكشاف» لسنتين إضافيتين، إذا ما اقتنع الحاكم بأن مثل هذا التجديد له ما يبرره.

ب ـ الحق للشركة ولمدة سنتين تبدأ بعد انتهاء مدة رخصة

الاستكشاف بالتنقيب عن النفط في مناطق محددة تختارها الشركة ويوافق عليها الحاكم والممثل السياسي للحكومة البريطانية، بعد انتهاء مدة التنقيب المذكورة في «أ» أعلاه أو قبل ذلك إن رغبت الشركة.

ج ـ الحق باستخراج النفط من منطقة حُددت مساحتها بـ 100,000 فدان، أي ما يعادل 400 كيلو متر مربع تقريبًا ولمدة زمنية لا تتجاوز خمسة وخمسين عامًا.

وقد تضمنت الاتفاقية التزام المجموعة الشرقية بدفع رسم الترخيص للحاكم، وحددت هذه الرسوم بمبلغ عشرة آلاف روبية هندية لكل سنة طوال فترة الاستكشاف والتنقيب، بين (ست وأربع) سنوات.

كما تضمنت الاتفاقية أنه عندما يتم استخراج النفط من البحرين بشكل تجاري تدفع المجموعة عوائد على الإنتاج تعادل ثلاث روبيات وثماني آنات عن كل طن من النفط يتم استخراجه من حقل البحرين باستثناء أول مائة طن/يوم وما تحتاج إليه الشركة من نفط لعملياتها في حقل البحرين.

وأكثر من ذلك استثمر الميجور النيوزيلندي «هولمز» علاقاته ومعرفته بالمنطقة ونشاطه المكثف للحصول على امتيازات جديدة تحقق أحلامه.

ففي اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1927م تمّ الاتفاق بين المؤسسة الشرقية وشركة نفط الخليج الأميركية، كما يقول كتاب : «العلاقات النفطية في البحرين» الصادر عن وزارة التنمية البحرينية، على حوالة حقوق المجموعة الشرقية في الامتيازات البترولية إلى شركة نفط الخليج. وقد شملت

الترتيبات التي تمَّ التوصل إليها في هذه الاتفاقية امتياز البحرين، كما شملت امتياز منطقة الأحساء وامتياز المنطقة المحايدة. وقد طالبت المجموعة الشرقية أن يتضمن الاتفاق التزام شركة نفط الخليج بدفع مبلغ نقدي يغطي نفقات الحصول على هذه الامتيازات وقيمة فوات الفرصة، وحددت هذا المبلغ عن كافة مناطق البحرين والأحساء والمنطقة المحايدة بمبلغ 250,000 دولار أميركي تدفع على خمسة أقساط بمعدل خمسين ألف دولار كل قسط، وعوائد إنتاج بمعدل (1 1/2) «شلن ونصف الشلن» عن كل طن من نفط يتمّ إنتاجه من المناطق: (الأحساء، المنطقة المحايدة، البحرين) باستثناء أول 250 طنًّا/يوم. وأن تتحمل شركة نفط الخليج الرسوم المتحققة للحاكم بذلك التاريخ وغير المدفوعة، بالإضافة إلى ما سيتحقق من رسوم بعد ذلك التاريخ. إلَّا أنه بالاتفاق النهائي في اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1927م، ثم الاتفاق على عوائد إنتاج بمعدل شلن واحد عن كل طن باستثناء أول سبعمائة وخمسين طنًّا/يوم بالإضافة إلى النفقات الفعلية التي تكبدتها المجموعة الشرقية في سبيل الحصول على هذه الامتيازات، بما في ذلك المبلغ المتحقق لحاكم البحرين آنذاك ألا وهو 10,000 روبية هندية رسم ترخيص يستحق في شهر فبراير/شباط من سنة 1928م.

وفي الواقع فإن تاريخ امتياز التنقيب عن النفط في الخليج يعتبر قصة محزنة من وجهة النظر البريطانية! كما يقول تشارلز بلجريف مستشار حكومة البحرين آنذاك. فبعد نجاح هولمز في جعل شركته تفوز بامتيازات التنقيب في الأحساء والبحرين والمنطقة المحايدة التي بين الكويت والبحرين؛ لم تتمكن الشركة البريطانية «المؤسسة الشرقية» من استكشاف وتطوير وتشغيل حقول النفط وذلك بسبب عدم وجود رأس المال الكافي لها ـ كما يقول

بلجريف ـ كما أنها لم تكن تمتلك حتى الرافعة المعدنية التي تقام فوق البئر النفطية! وأكثر من ذلك كانت الحكومة البريطانية ولأسباب غير مفهومة تنظر باستمرار إلى هولمز على أنه شخص غير مرغوب فيه!

وبعد مفاوضات مطولة بين مكتب المستعمرات البريطاني وشركات النفط تمَّ الاتفاق في النهاية في شهر يناير/كانون الثاني من عام 1929م وصدر قرار تأسيس شركة نفط البحرين المحدودة «بابكو» وأن تكون جنسيتها ومقر تأسيسها هو كندا لكي تضفي على شركة (ستاندرد أويل كومباني أوف كاليفورنيا) الصبغة أو الانتماء البريطاني! وبرأسمال قدره نصف مليون دولار. وتمَّ توقيع اتفاقية مع حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.

وفي شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام 1930م بدأت أولى عمليات حفر الآبار الأولى للبترول. ولم يتطلب الباحث الأميركي الجيولوجي ديفيس وقتًا طويلًا ليقرر أن يبدأ العمل في حفر آبار للنفط في البحرين بالرغم من تحذيره بأن المنطقة لن تكون ذات إنتاج غزير، وقام ديفيس بالتجول حول كافة الأماكن الصخرية لجبل الدخان، واختار موقعه وقام في الحال بوضع نصب من الحجارة يدل على مكان الحفر الأول.

وفي وقت لاحق أقسم الحفارون أن ديفيس قد اختار موقعًا على البحرين بأكملها لا توجد به نسمة من الهواء، ولكن كما تبين فيما بعد، فإن هذا الموقع غير الملائم من حيث الطقس.. كان اكتشافًا رائعًا. وبالرغم من استعمال أجهزة قليلة من قبل ديفيس لترشده إلى الموقع الصحيح، فإن العلامة التي وضعها كانت تبعد فقط عشرين قدمًا من جهة قبة تحتوي على البترول.

وفي أول شهر يونيه/حزيران من عام 1932م يتدفق النفط من بئر رقم واحد في البحرين ويكتب التاريخ حدثًا هامًّا وخطيرًا في تلك الجزر الهادئة!

وبعد أسابيع قليلة بدأت «بابكو» حفر بئر أخرى. ويتذكر «بلجريف» ذلك اليوم قائلًا: «وفي يوم عيد الميلاد (الكريسماس) بعد مغادرتنا مباشرة كنيسة الإرسالية الأميركية جاءتنا رسالة من الميجور هولمز يطلب منا المجيء في الحال إلى موقع البئر رقم (2) التي يتدفق منها النفط باندفاع شديد.. كان يومًا قارس البرودة بلغت فيه درجة الحرارة خمس درجات مئوية بالرغم من بزوغ الشمس وتبيّن للأجانب مدى البرودة التي يمكن أن يصل جو البحرين إليها في الشتاء.. وعندما وصلنا إلى البئر الواقعة على السهل القريب من جبل الدخان شاهدنا بركًا ضخمة من السائل الأسود وأنهارًا من النفط تجري عبر الوادي وأخذ البترول إضافة إلى الدخان الأسود (الذي عرفنا فيما بعد أنه الغاز الطبيعي) يتفجران ويندفعان بقوة من البئر المحفورة وتلطخت جميع الآلات والمعدات والرجال من أعلى إلى أسفل بالنفط. وصار من المستحيل علينا أن نميز العمال الأميركيين عن البحرينيين حيث أصبح لونهم متشابهًا!!

لم يكن المنظر جميلًا لكنها كانت لحظات مثيرة وتاريخية بالنسبة لي، فقد تمَّ العثور على حقل للنفط في البحرين. وكان يومًا خالدًا ومشهورًا للميجور هولمز الذي أثبت صحة نظريته الآن. لم نمكث طويلًا عند بئر النفط بسبب ارتباطنا بإقامة حفلة للأطفال في عصر ذلك اليوم على شرف ابننا الصغير جيمس، وارتباطنا الآخر بإقامة مأدبة عشاء لجميع أفراد الجالية الأوروبية في البحرين».

وقد أعطى اكتشاف النفط في البحرين دفعة قوية لشركات البترول الأخرى للحصول على امتيازات التنقيب في بلدان الخليج. ففي عام 1935م منح حاكم قطر امتيازًا لشركة النفط العراقية التي حفرت أول بئر ناجحة لها في عام 1938م. وفي نفس العام حصلت شركة (ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا) على حق التنقيب بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ. وفي الكويت وعقب مفاوضات طويلة ومعقدة، أعطي الامتياز لشركة نفط الكويت التي تمتلكها مناصفة كل من شركة البترول الإيرانية البريطانية وشركة نفط الخليج الأميركية واكتشف النفط في البئر الثانية عام 1938م. وتأخرت الإمارات في اكتشاف النفط حتى الخمسينيات.

وقوبل مجيء «رجال النفط» في البحرين ببعض التخوف والحذر من قبل الجالية الأوروبية، كما يقول بلجريف: «فقد سمع الناس روايات عن مغامرات الأميركيين العاملين بحفر الآبار التابعين لشركة النفط البريطانية الإيرانية في مدينة عبادان وتوقعوا منهم التصرف مثل رجال الكاوبوي الذين نشاهدهم في الأفلام الأميركية.. لقد كانوا جماعة خشنة غليظة التعامل مع الناس، لكنهم بالتأكيد اختيروا بسبب سلوكهم الحسن!».

ومع تدفق النفط في بئر رقم واحد ورقم اثنين تدفق إلى آبار النفط في البحرين مئات العمال البحرينيين الذين أنقذهم الميجور النيوزيلندي «فرانك هولمز» من البطالة ومن الاكتئاب من انهيار إمبراطورية اللؤلؤ، والأهم أنهم تراكضوا وراء الرزق الجديد الذي جاء في وقته فعلًا.

جاء النفط ومعه جاءت الآلات والعمال والصخب والمدن الجديدة والسيارات الفارهة والعمارات الضخمة. جاء النفط وانقلبت

المجتمعات وتغيرت الشوارع والبشر، وكتب عشرات الكتّاب والباحثين مئات الدراسات والكتب حول تأثيرات النفط في الخليج.

أما الميجور «فرانك هولمز» فقد نسيه الجميع!

تدشين أول بئر نفط عام 1932

«الحلقة» أول مجلة بحرينية تصدر في الخارج

صفحات قليلة تعرف «البحرين» المجهولة!

في بدايات ديسمبر/كانون أول عام 1946م ترك عشرون طالبًا بحرينيًّا حقائبهم وكتبهم وأوراقهم في السكن الداخلي، وراحوا يمارسون الانبهار والدهشة في أروقة أزهى الجامعات في الشرق، الجامعة الأميركية في بيروت. وبعد مضي بضعة شهور تحول الانبهار إلى أفكار وزالت الدهشة وحلّت محلها طموحات.

ولم يتأخر الطلاب البحرينيون، الذين جاؤوا في ثاني بعثة طلابية بحرينية إلى الجامعة الأميركية بعد الأولى عام 1928م، أمثال: إبراهيم بوحجي، حمد محمد الخليفة، سلمان خليل كانو، عبدالعزيز كانو، علي فخرو، عبدالحسين منديل، عبدالرحمن الشيراوي، وغيرهم لم يتأخروا عن تنفيذ بعض الطموحات وعن تحويل بعض الأفكار إلى أنشطة وفي الحال ينخرط الطلاب في المناخ السياسي الملتهب في لبنان بالأفكار القومية والتحررية، والأهم تأسيس كيان طلابي لهم أسموه (الحلقة البحرينية).

وبالطبع يساهم إنشاء الحلقة في فبراير/شباط 1946م في القيام بالكثير من الأنشطة الطلابية والثقافية في الجامعة وفي بيروت كلها باسم البحرين، ولم يمض عام واحد حتى أصبح كيان الحلقة

البحرينية يحتلّ مكانًا مرموقًا ومميزًا في جسد الحركة الطلابية العربية وفي وسط الهيئات الشعبية في البحرين.

وبالرغم من الأنشطة والفعاليات المتعددة في الجامعة الأميركية وفي داخل البحرين إلّا أن طموح أعضاء (الحلقة) كان يريد الوصول بها إلى أعلى من ذلك. فبسبب الجهل بالبحرين لدى الكثير من الطلاب العرب وغياب الصحافة البحرينية بعد توقف جريدة (البحرين) لصاحبها عبدالله الزائد عن الصدور وجد أعضاء (الحلقة) الحاجة ملحّة لإصدار مجلة أو صحيفة تعبر عن آرائهم وتكون منبرًا إعلاميًّا وصوتًا لهم ولتخلق وعيًا عربيًّا لوطنهم المجهول (البحرين).

وكلها شهور قليلة من الاجتماعات والتبرعات والانشغال بكتابة المقالات حتى تضافرت الجهود في النهاية وصدرت أول مجلة بحرينية خارج البحرين.

فمع إطلالة شهر مايو/أيار عام 1947م فوجئ الطلاب والأساتذة بالجامعة الأميركية ببيروت بصدور مجلة أنيقة وراقية ذات طباعة جيدة كتب على غلافها اسم (الحلقة) وتحتها عبارة صغيرة تقول (النشرة الثقافية التي تصدر عن الحلقة البحرينية).

ومثّل غلاف العدد الأول ـ والوحيد أيضًا ـ من المجلة الوليدة رسمًا تشكيليًّا لحلقة كبيرة ارتبطت بها ثلاث حلقات صغيرة مع (أرزة) لبنان وثلاث حلقات أخرى مع (نخلة) البحرين.. ومعها صورة فوتوغرافية للشيخ سلمان بن حمد آل خليفة، حاكم البحرين آنذاك.

وعبّرت افتتاحية المجلة الصغيرة ذات الأربعين صفحة والمطبوعة في مطبعة الكشاف في بيروت عن ماهية المجلة، حيث قالت: (شاء الشباب البحريني ومشيئة الشباب جبارة أن يكون لهم صوت داوٍ إلى جانب أصوات إخوانهم العرب في شتى أقطارهم ولم

يجد خيرًا من إصدار هذه النشرة كعمل أولي بسيط في مرحلة نضالهم، في سبيل إعلاء شأن هذا الوطن العربي، وجدنا أنفسنا غرباء، لا غرباء الوطن أو اللغة، فالبلاد العربية جميعها تؤلف وطنًا واحدًا، ولكن الحقيقة الملموسة هي أن الكثيرين يجهلون البحرين، فمن واجبنا إذن أن نقرب هذه الشقة بتعريف وطننا الأصغر إلى كافة سكان الوطن الأكبر وإظهار البحرين على وجهها الحقيقي، كما توخينا أيضًا مهمة أخرى وهي تعريف الشباب البحريني الواعي على تلك الحقيقة من جهة وإلى إيجاد رابطة بينه وبين باقي العالم العربي في شتى أقطاره ومراحله من جهة أخرى).

وفي أولى مقالات المجلة يكتب عبداللّه علي كانو يعرّف بمنظمة (الحلقة البحرينية) التي أنشأها الطلاب البحرينيون في بيروت، ويقول: (كان عدد التلاميذ البحرينيين في السنوات القلائل الماضية لا يتجاوز السبعة، يدرسون في القسم الإنجليزي من الفرع الاستعدادي التابع للجامعة الأميركية وكنا خلال السنين دائمي الاجتماع إلى حد كبير. ولكننا لاحظنا بعد أن تخرج بعض منّا من الاستعدادية ودخلوا العالية (الجامعة) أن اجتماعاتنا أخذت تقل، فعمدنا في الحال إلى تلافي ذلك، حيث كوّنّا لنا حلقة تضم جميع البحرينيين من الفرق وتجعلهم يعرفون قيمة التضامن حتى يعملوا به فيما بعد وصرنا يدًا واحدة ساعين لتحقيق أملنا الذي يعمل الجميع لأجله، ألا وهو إعلاء شأن البلاد البحرينية من جميع النواحي، وغايتنا الثانية من حلقتنا هي نفع إخواننا في البحرين بإطلاعهم على خلاصة الفكر السوري اللبناني في الاجتماع والسياسة، خصوصًا وأننا اليوم كأمة عربية واحدة، واجب علينا التكتل ولابد لهذا من أواصر تشد بعضها البعض في العلم والاجتماع والسياسة ... إلخ. ويسرني أن أقول إننا نجحنا بعض النجاح وشعرنا بالواجب أكثر من

ذي قبل وعرفنا أن النظام هو الوسيلة الوحيدة للتقدم وكانت المسائل تقضى شورى بين أعضاء الحلقة).

وكتبت (إنصاف حلاق) وهي المديرة السابقة لإحدى مدارس البنات في البحرين مقالًا عن (الفتاة البحرينية كما عرفتها خلال إقامتي في البحرين) تقول فيه: (لا أغالي إذا قلت إن الفتاة البحرينية شعلة ذكاء وموهبة وثابة إلى تسلق سلم المجد، سباقة إلى كل مكرمة، محبة لكل تجديد يعود على مجتمعها بالخير والرفاهية، تعمل واجبها بصمت وتجرد وإخلاص، لا تروم من وراء ذلك إلَّا هدفًا واحدًا ألا وهو النهوض بمجتمعها الذي كان ينظر إلى المرأة كسلعة تباع وتشترى، لا يحق لها التمتع بالثقافة ولا بمشاركة الرجل في تبعاته الجسام، بل عليها أن تبقى مكبلة ضمن أربعة جدران، كأنها في قفص أو سجن، لكنها نفضت عنها ثياب الكسل وأخذت ترد مناهل العلم التي أصبحت على صغر مساحة جزر البحرين كثيرة وفتحت عينيها للنور، وصرخت صرختها المدوية التي اهتزت لها جدران سجنها فخرجت منه صائحة :إن المجتمع الذي يريد أن يحيا حياة حرة مستقلة عزيزة لا بد له من دعائم قوية ترتكز على أسس منيعة تربوية، فضاقت بها مناهل العلم على اتساع رحبها أخذت الفتاة تسابق الشاب في ميدان الثقافة فبرهنت في مدة وجيزة على جدارة فائقة وعمل مثمر، ووقفت في وجه تيار الجهل والخمول والكسل بعزم ثابت وجرأة نادرة محطمة هذه الأغلال التي قيدتها).

أما إبراهيم بوحجي فيكتب مقالًا عن (اللؤلؤ في البحرين) يتحدث فيه عن كيفية خروج السفن لصيد اللؤلؤ وكيفية استخراجه وطرق بيعه. ويكتب يوسف الشيراوي عن الصحة في البحرين ويتطرق إلى الأمراض المنتشرة والخدمات الصحية الحكومية، ويكتب عبدالرحمن الشيراوي عن (رسالة الأندية في المجتمع البحريني)

ويتحدث عن واجباتها تجاه المجتمع والأدوار الثقافية والتعليمية التي يمكنها العمل فيها، ثم يختتم مقاله بنداء يقول فيه: (في أندية البحرين الموقرة اتحدوا وتكاتفوا وقوموا بهذه الخدمة واعلموا أن أمراءنا وأغنياءنا لا يتوانون عن مساعدتكم إذا صفت نياتكم وجعلتم خدمة البلاد والتضحية في سبيلها غايتكم... وأخيرًا أودّ أن أقول إنه قد آن الأوان للسعي والجد فلنجدَّ ونجتهد واللَّه وليُّ العاملين).

وبعد أن يتحدث الشيخ حمد محمد آل خليفة في مقاله (التعليم في البحرين) حول نشأة التعليم النظامي وتاريخ التعليم يقترح الشيخ حمد: (وهنا لا بد لي من إبداء شعور شخصي أو اقتراح قد أكون أعبّر به عن رأي كثير من شبابنا الواعي في بلدنا العزيز إني أقترح أولًا إلى الجهات المسؤولة أن تكون الدراسة الابتدائية في البحرين إلزامية، وليست اختيارية، كما هي الحال الآن سواء كان ذلك في المدن أو القرى مع أني لا أنكر أن هنالك صعابًا كثيرة تحول دون ذلك سواء كانت مادية أو اجتماعية أو سواها. ثانيًا أن تكون الدراسة في حدائق الأطفال مختلطة لكي تبني أسسًا أولية للتقريب بين الجنسين في الجيل القادم).

وفي مقال (بؤس) الذي كتبه علي محمد فخرو أحد أعضاء (الحلقة البحرينية) يوجّه الكاتب دعوة لمساعدة الفقراء قائلًا: (فماذا يا ترى لو أُلِّفت لجنة ينتخبها جميع تجار البحرين وتجمع عندها كل هذه الأموال التي تصرف متفرقة وهي بدورها تنظر في أمر استثمارها في مشاريع تعود بالنفع على الفقراء كمجموع وكأفراد أيضًا، كجموع إنشاء الملاجئ لليتامى والمشردين، وإنشاء معاهد تعليم مجانية لأبناء الفقراء وبناتهم وإلقاء المحاضرات والإرشادات من قبل الشباب المثقف تحت إشراف اللجنة، وكأفراد بتوزيع المساعدات المادية على مستحقيها بدون تفريق، وماذا لو وضعت أموال الزكاة تحت تصرف هذه اللجنة

أيضًا، فالكيفية التي تصرف فيها أموال الزكاة في الوقت الحاضر طريقة عقيمة فهل فكر أحد منا في ألف فقير مزدحمين في مكان ضيق نسبيًّا لمدة ثلاث أو أربع ساعات في سبيل نصف روبية أو روبية وربما أقل من ذلك، فباللّه عليكم ماذا سيعمل هذا المبلغ التافه في حياة ذلك الفقير. أسيجلب له غذاءه؟ ربما ولكن لا أكثر من ذلك).

وانتزع عبدالرحمن كانو من المجلة ثلاث صفحات كتب فيها مقالًا أدبيًّا سماه (الأستاذ عبدالله الزائد) قال: (ولكن الزائد قال ليس اللوم واقعًا على عاتقكم وإنما على المنهاج الدراسي ويا حبذا لو اعتنى بإدخال بعض من شعر أبناء البلاد في المنهج حتى يعرف النشء قيمتهم ويوفيهم حقَّ قدرهم ثم تكلم عن عدم نشاط النوادي الذي عهده في تمثيل المسرحيات الاجتماعية وأبدى عجبه من عدم انتباه النوادي وتمكينهم جميعًا من تشييد مسرح للتمثيل مجهز بالمعدّات الحديثة، لكي يرى الشعب البحريني أمراضه الاجتماعية تمثل أمامه، وقد قال :إن شبابنا أصبحوا يفرّون من النوادي ويقصدون المقاهي تاركين الكتب المفيدة تنسج عليها العناكب، وكأنما تناسوا النوادي وفضلها في تنوير الأذهان بعد المدرسة).

ويطالب عبد الحسين جعفر في مقال له: (علموا المرأة يتعلم الرجل) بضرورة تعليم المرأة ويتساءل: (ماذا نستفيد من تعليم الرجل إذا كانت المرأة جاهلة وكيف نترك تربية الأطفال إلى أمهات امتلأت أدمغتهن بالجهل المطبق والخرافات والأقاويل الفارغة) .

ويجد مبارك كانو في مقال : (الولد للمدرسة لا للعمل).(إن أهم مشاكل المجتمع البحريني مشكلة عدم مواصلة الدراسة من قبل نسبة كثيرة من طلاب المدارس الابتدائية في البحرين، وذلك راجع إلى أسباب عدة أهمها اضطرار الوالد في أغلب الحالات إلى

استخدام ولده كمساعد له في عمله. فيخرجه الوالد من المدرسة بعد أن عرف مبادئ القراءة والكتابة فقط وفهم بعض كلمات من اللغة الإنجليزية. اعتقادًا منه بأن ذلك يكفيه وأنه الآن بمركز يؤهله لترك المدرسة والعمل في مهنة أبيه) .

ويقترح كانو الحلول أيضًا في مقاله قائلًا : (مثل هذا الأمر في الأمم الأخرى يتعاون الشعب مع الحكومة للمضي نحو هدف واحد، وهو أن الولد للمدرسة لا للعمل، فمثلًا يمكن للحكومة أن تسنَّ قانونًا يمنع تشغيل الأحداث ما دون السادسة عشرة، وواجب الشعب هو تنفيذ هذا القانون بدقة بدون تذمر مساعدًا الحكومة لإعلاء شأن البلاد.

ثانيًا كلنا يعرف أن المدارس الحكومية في البحرين لا تتقاضى أجرًا يذكر على التعليم، وهذه إحدى المشجعات، فإذا حولت الحكومة التعليم إلى تعليم إجباري لاضطر النشء إلى الدراسة أتوماتيكيًا وإذا بلغ آخر صف فالحكومة تتكفل بتشغيله).

ويلقى صدور العدد الأول واليتيم من مجلة (الحلقة) صدى ترحيبيًا واسعًا وكبيرًا في البحرين ولبنان حال قراءته وبالرغم من كل المحاولات التي بذلها أعضاء الحلقة البحرينية في بيروت للاستمرار في إصدار المجلة، إلَّا أن جميع المحاولات لم يُكتب لها النجاح. فقد كانت العقبات المادية في رأس المشكلات، كما أن ظروف أعضاء الحلقة المتفرقين ما بين البحرين وبيروت بعد تخرج بعضهم وبعض الصعوبات الأخرى تجمعت كلها ووقفت ضد استمرار المجلة وتحريرها وطباعتها في البحرين.

وذهبت العقبات وانتهت الأحلام وبقيت مجلة (الحلقة) البحرينية كأنها تحفة ثمينة من التاريخ عصيَّة على النسيان.

نشرة ثقافية تصدر عن
الحلقة البحرينية

العدد الاول رجب ١٣٦٦ — مايو ١٩٤٧

صاحب العظمة امير البحرين الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة
رائد النهضة العلمية الحديثة في البحرين

غلاف العدد

الحلقة

نشرة ثقافية تصدرها الحلقة البحرينية

* * *

فهرست

٢	تصدير	هيئة التحرير
٣	الحلقة	عبد الله علي كانو
٥	الفتاة البحرينية	انصاف حلاق
٨	الزواج في البحرين	ابراهيم محمد بو حسين
١٢	الصحة في البحرين	يوسف احمد الشيراوي
١٥	رسالة الاندية في البحرين	عبد الرحمن قاسم الشيراوي
١٧	التعليم في البحرين	حمد محمد الخليفة
٢٠	الطاقة الذهبية	نديم حلاق
٢٢	روضة الشاعر	. . .
٢٤	يؤس	علي محمد فخرو
٢٦	عبد الله الزايد قال لي	عبد الرحمن قاسم كانو
٢٩	مشاكل	قاسم احمد فخرو
٣١	اليتيم	احمد عبد الله بهزاد
٣٣	علموا المرأة يتعلم الرجل	عبد الحسين جعفر
٣٥	الولد المدرسة لا العمل	مبارك قاسم كانو
٣٨	روائع المكتب	. . . .

عمل
ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

المثقف كمال المهزع يؤسس المعادلة الصعبة في المنامة عام 1940م

نادي المختلط . . . صحف وألعاب مسلية!

بعد تخرجه في دار العلوم بالقاهرة في أوائل الثلاثينيّات، عاد إلى المنامة المثقف البحريني الشاب كمال المهزع، ابن القاضي الشهير قاسم المهزع، ليجد نفسه أمام هدوء الجزر، بعد أن تعوّد على صخب القاهرة المملوءة بالأحداث والحياة السياسية والأدبية والصحفية.

كان كمال المهزع وقتها نموذجًا للمثقف العصري، فهو خريج كلية عربية أدبية راقية، ويجيد اللغة الإنجليزية إجادة تامة، وقارئ نهم في الأدب والشعر ويتابع الصحف، وتسبقه سمعته كابن أشهر قاضٍ عرفته البحرين.

وبجانب تلك المزايا، كان المهزع أيضًا مثقفًا بالطموح والأحلام، لكن الكثير منها بدا تحقيقها صعبًا بسبب هدوء البحرين وغياب أشكال الحياة السياسية والثقافية والفنية وغيرها، علاوة على مراعاته للكثير من التعقيدات والحساسيات، لكونه ابن قاضٍ شهير تُحسب عليه أية كبيرة وصغيرة.

وضمن هذا المناخ «الهادئ» اشتغل كمال المهزع بعد عودته إلى البحرين بوظيفة سكرتير مدير التعليم الحكومي الإنكليزي آنذاك

(أدريان فالانس)، وبمقياس تلك الأيام فقد كانت وظيفة هامَّة جدًّا ومرموقة وتثير حسد الكثيرين.

ومع الوقت شعر كمال المهزع أن تلك الوظيفة «الهامة» ترضي بعض طموحه، وربما غروره، ولكنها لا تكفي طموحه إلى وقت طويل.

وبالفعل يفكر «المهزع» مع بعض أصدقاء له في مشروع ثقافي يتزعمه يرضي به بعض الطموح، ويوقظ بعض صخب النشاط الذي وجده قد نام مؤقتًا في البحرين.

وبعد عدة اجتماعات مع أصدقائه، أمثال علي الوزان وغيره، تمَّ الاتفاق على إنشاء نادٍ يمثل فكرة جديدة في البحرين، وهي أن يكون أدبيًّا ثقافيًّا ورياضيًّا معًا.

وفكرة النادي كانت جديدة فعلًا آنذاك. فقد كان الكثير من الأندية الشهيرة في البحرين والنشطة آنذاك أمثال: العروبة، الأهلي، البحرين، كلها أندية ثقافية اجتماعية لا تلعب الكرة، أو بالأحرى لا تمزج الثقافة بالرياضة، وكانت هناك أندية رياضية فقط.

والواقع أن محاولة إيجاد هذه المعادلة، معادلة الثقافة والرياضة، هي بحد ذاتها محاولة جريئة وشجاعة آنذاك قام بها كمال المهزع. ورغم تلك الأفكار إلَّا أن المهزع كان متأثرًا أيضًا بنادي المختلط الموجود في مصر.

وتوكّل «المهزع» على اللَّه وعلى أصدقائه، وظهرت جريدة «البحرين» في عددها الصادر بتاريخ الخامس والعشرين من شهر يوليو/تموز لعام 1940م بخبر عن النادي عنوانه «افتتاح نادي المختلط الرياضي» يقول: «سيفتتح نادي المختلط الرياضي في ليلة

الجمعة الموافق العشرين من شهر جمادى الثانية من عام 1359هـ من تاريخ الخامس والعشرين من شهر يوليو/تموز، وستكون حفلة الافتتاح هذه مقصورة على أعضاء النادي.

وهذا النادي هو أول نادٍ من نوعه في البحرين، يجمع بين الأدب والرياضة، ويضم نخبة من الشباب المثقف: رجال الغد وعماد المستقبل. فحض من جانبنا الوجهاء والأعيان على مساعدته والأخذ بناصره وتشجيعه ليقوم بأداء رسالته من تثقيف وتهذيب».

ونشرت الجريدة في العدد نفسه رسالة من الرئيس كمال المهزع يقول فيها: «بعونه تعالى قد فتحنا ناديًا في المنامة باسم «نادي الاتحاد الرياضي»، (الصواب هو نادي المختلط الرياضي)، يضم زهرة شباب البحرين المثقف، يقرؤون فيه الكتب والصحف، ويتداولون فيه مختلف الألعاب الرياضية والفكرية، غايته البحتة «الثقافة والرياضة». وقد نال تشجيع حكومتنا الجليلة، وعطف مليكنا المفدى وأفراد العائلة المالكة الكريمة.

فإليكم ـ أيها الوجهاء والأعيان ـ أوجه هذه الكلمة مستنهضًا همَّتكم، مستدرًّا عطفكم على أكبر معهد اجتماعي سيكون له عظيم الأثر في تكوين شبابنا تكوينًا أدبيًّا رياضيًّا منتجًا.

وكلِّي أمل ورجاء أن ينال من عطفكم الكريم، وحسن تشجيعكم ما نسجل لكم به مفخرة جُلّى ويدًا طيبة كريمة».

وبتوقيع: رئيس نادي المختلط الرياضي: كمال المهزع

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر يوليو/تموز من عام 1940م (الحادي والعشرين من شهر جمادى الثانية من عام 1359هـ) تقام حفلة كبرى في المنامة يفتتح بها نادي المختلط. ويُلقي كمال

المهزع كلمته كرئيس للنادي، مركّزًا فيها على فكرة الثقافة والرياضة، وأن ناديه «المختلط بكليهما» سوف يرتقي بالاثنين.

وقال المهزع في خطبة افتتاح النادي: «أيها الإخوان الكرام: بعونه تعالى وكرمه نفتتح نادينا المبارك، نادي المختلط الرياضي، في هذه الليلة المباركة، وكم هو حلم جميل،وكم هي أمنية غالية تلك التي أشرفت على التحقيق بإشراف طلعة هذا النادي الميمون.

شباب يعجُّ بقوته المعنوية الأدبية. وفتيان ملأت أنحاء المدينة طلائع نشاطهم وحيويتهم، ونفوس فتية تشرئبُّ إلى المعالي وتطمح إلى مراقي الحياة، وهمم آلت على نفسها أن تجتاز الصعاب وتتخطى العقبات وتتسابق الخطى في الوصول إلى أهدافها الغالية ومطامحها الرفيعة وأمانيها المشرفة. مرحى بهمة الشباب! مرحى بأهازيج القوة! مرحى بالطموح إلى المعالي وتسلّم مراقي الشرف والرفعة!

ها هي أولى أمانيكم قد تحققت ـ أيها الشباب العزيز ـ ها هي بذور مغارسكم الغناء الظليلة قد أخذت مقرها في تربة حسنة صالحة، تحت أشعة شمس قوية مصهرة، ها هي طليعة مطامحكم بدأت في عملها المنتج الهادئ الرزين.

نادٍ يضمُّ همم الشباب ويجمع كلمتهم في نشر رسالة الثقافة والرياضة. نادٍ يوحّد كلمة الشباب، ويؤلف بين قلوبهم حول مدارج الثقافة والرياضة. نادٍ يهيب بشباب اليوم ورجال الغد أن يأتلفوا حول موائد الأدب وفي مراتع الألعاب، فيعبوا من الثقافة والأدب، ويرتووا من الرياضة والحركة والحياة».

ويضيف المهزع في خطابه:

ألا أيها الإخوان الكرام لأجلكم فتحنا هذا النادي الكريم،

وعلى كواهلكم القوية العتيدة سنرفع ألويته، ألويته الثقافية والرياضية. فهبوا ملتفين حول موائده، تأخذون من شتات العلوم والآداب، بما يتناسب مع مداركم، وما يأتلف مع تثقيفكم وتتسابقون في حلبة الآداب والعلوم والمعارف تسابقًا تتكوَّن فيه مداركم وتتغذى فيه نفوسكم، وتنصقل فيه آراؤكم، ويتسع لكم به مجال الحياة.

أيها الإخوان الكرام: لأجلكم فتحنا هذا النادي الكريم، وباتحادكم وتآزركم وجميل أخلاقكم ستجنون ثماره الشهية الحلوة. فأقبلوا على موائده العلمية ومراتعه الرياضية تأخذون بأوفى حظ وأوفر نصيب. تناولوا ما فيه من رياضة وآداب بروح العطشى المولهين، تتكون أجسامكم وتنم وتزدهر وتتثقف فتزهر وتثمر. فتضمنون لأنفسكم مستقبلًا زاهرًا وعهدًا سعيدًا، يتطلب قوة الجسم وثقافة العقل وقوة الخلق.

فخذوا من يومكم لغدكم، وانظروا لناديكم هذا نظرة المجدد، نظرة من يكوّن نفسه ويثقف عقله. وبهممكم واتحادكم وتآزركم سينجح هذا النادي ويؤتي ثماره الطيبة المرجوة.

وإني بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن زملائي أعضاء الإدارة أتعهد لكم بأننا جميعًا سنسير بالنادي سيرًا سديدًا رشيدًا. سيرًا يكفل له القوة والرصانة في القيام برسالته الأدبية الرياضية المنتجة.. حقق اللّه الآمال».

وترحب الأندية الوطنية والأوساط الثقافية في البحرين بميلاد هذا النادي الوطني الجديد. ووسط هذا الترحيب يبدأ نادي المختلط نشاطه الصعب، وبدأ «نادي المختلط» نشاطه في «بناية بن هندي» الواقعة في شارع الخليفة وسط سوق المنامة القديم بالطابق الثاني في مقرّ صغير.

كمال المهزع عام 1940

وكانت نشاطات النادي متوزعة على إقامة ندوات ثقافية ودينية والمشاركة في غيرها مع الأندية الأخرى، علاوة على وجود غرفة ألعاب يقضي فيها أعضاء المختلط لياليهم.

ومع الوقت يكبر النادي وتزداد عضويته وتكثر أنشطته ويسجل خبر في جريدة «البحرين» بتاريخ ثلاثين من شهر يناير/كانون الثاني من عام 1941م تقدم النادي حيث يقول الخبر: «لقد تحول (نادي المختلط الرياضي) من محله الواقع ببناية هندي إلى بناية السيد حسن سيادي رقم 94 الواقعة بالفريق الشرقي من المنامة، ابتداء من أول الشهر الجاري، وذلك لضيق محله السابق، نظرًا لكثرة أعضائه. فنرجو له اطِّراد التقدم والتوفيق».

وفي منتصف مارس/آذار 1941م يشارك نادي المختلط المسؤولين البحرينيين وبعض الشخصيات بالاحتفاء بفرقة الكشافة الكويتية التي كانت تزور البحرين آنذاك.

وأقام نادي المختلط احتفالًا كبيرًا لفرقة الكشافة في مقرِّه الصغير، لم ينسه المرحوم صالح شهاب، الذي كان طالبًا في البحرين آنذاك، وذكر وقائع احتفال نادي المختلط في كتابه «تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان».

ويروي المرحوم شهاب وقائع حفل نادي المختلط فيقول: «وفي اليوم الرابع قامت فرقة الكشافة الكويتية بتلبية دعوة النادي المختلط الرياضي لتناول الشاي وتوابعه من الحلويات، ورحب المرحوم علي عبدالرحمن الوزان، سكرتير النادي، بكلمة رقيقة أشاد فيها بروح الأخوة والمحبة التي تجمع ما بين الشعبين - الكويتي والبحريني ـ منذ القدم. ومن الجدير بالذكر أن رئيس هذا النادي هو أستاذنا الجليل كمال قاسم المهزع، سكرتير معارف البحرين والمكلف بالإشراف على برامج فرقة الكشافة الكويتية وتوفير وسائل الراحة لهم. فقد رد على كلمته المرحوم عبدالعزيز ياسين الغربللي الذي كان بمثابة (خطيب الرحلة). كما وهبه اللّه من فصيح الكلم

وصوت جهوري يشدُّ سامعيه بما يظهره من حماس وانفعال في المواقف التي تستحق منه الحماس والانفعال. ولم ينشد طلاب الكشافة الأناشيد الوطنية كما حصل في مدرسة الإصلاح الأهلية وفي بستان المرحوم الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة، إذ علمنا بصورة خفية أنها غير مستحسنة هنا، واستعضنا عنها بالألعاب المسلية الموجودة في النادي».

وبينما يذكر «شهاب» أنهم استعاضوا عن الأناشيد بالألعاب، يروي تقرير بريطاني أورده «شهاب» نفسه أن كمال المهزع ـ رئيس النادي ـ هو الذي نجح في إلهاء الطلبة بالألعاب ليتركوا الأناشيد الحماسية!

وبجانب الاحتفاء بفرقة الكشافة الكويتية والمقر الجديد يبرز نادي المختلط مع الوقت كواحد من الأندية الوطنية الهامة في البحرين عبر مشاركاته في احتفالات ومناسبات البلاد.

ففي اليوم التاسع من شهر أبريل/ نيسان من عام 1942م تنشر جريدة «البحرين» كلمة نادي المختلط في تأبين حاكم البحرين آنذاك، الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، وتبرز الجريدة نص الكلمة التي ألقاها عبدالرحمن عبدالغفار، والتي تقول بعضها: «لقد كان ـ رحمه اللّه ـ ركنًا منيعًا لبلاده، وأبًا بارًّا لشعبه، فكم بذل له من مساعدات، وكم أجزل له من عطايا وهبات، وكم جدد له من مآثر، وكم أسس له من مدارس، وكم عمر له من مساجد يذكر فيها اسم اللّه، وكم أحيا له من معاهد. وهل يستطيع مؤرخ أن ينسى أو يتناسى ما للفقيد العظيم من عطف على الفقراء، وتحنان على المعوزين من شعبه، ومن أبناء الجزيرة جمعاء، فقد خلّد بمآثره وعطاياه ذكرى عظيمة باقية على مرّ الأيام.

فهذي مآثره العامرة، وتلك أعماله المجيدة، أما المنشآت الخيرية والعمرانية التي تمت على يديه فعظيمة كثيرة، وإنها لكفيلة بأن تخلد ذكراه. منها: تنوير البلاد بالكهرباء، ومنها إقامة الجسر العظيم الذي يصل المنامة والمحرق، ومنها بناء المستشفيات الرسمية التي أصبحت كعبة البلاد العربية جمعاء، ومنها مساهمته الكبيرة في تشييد الجامع الأكبر بالمنامة، وبناء منارته الكبرى على نفقته الخاصة، علاوة على ما بناه من مساجد أخرى في أطراف الإمارة.

أما روحه الطيبة الكريمة التي كان يحملها لكافة شعبه على السواء، تلك الروح التي لم تعرف غير الندى والكرم. تلك الروح التي كانت تمثل الشخصية العربية المتواضعة. تلك الروح السليمة المتحلية بتاج الصدق والإخلاص، تلك الروح الهادئة المبتعدة عن سبيل الشرور والاستبداد، تلك الروح التي تبوَّأت مكانة سامية في نفوس أمراء العرب وكبرائهم، فهي موضع تقدير الجميع وإكبارهم».

ورغم بعض هذه النجاحات إلَّا أن النادي يفشل في تحقيق معادلة الثقافة ـ الرياضة الصعبة ـ (والمفارقة أنها معادلة لا تزال تفشل، ويختفي تدريجيًّا من خارطة الأنشطة والفعاليات التي كانت تقيمها أندية البحرين).

ويغلق «نادي المختلط» أبوابه بعد سنوات قليلة فقط من انطلاقه، ويعود المثقف كمال المهزع إلى التأقلم مع هدوء الجزر غصبًا عنه!

عمل
ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

الفهارس العامة

الأعلام

أ

آدم: 39.

آرثر: 43.

آرثر باثرمان: 84.

إبراهيم الحاج الخليل كانو: 143.

إبراهيم الخلفان: 143.

إبراهيم الخياط: 140.

إبراهيم العريض: 141.

إبراهيم بن محمد آل خليفة: 61، 62، 75، 76، 113، 114، 123.

ابن الفارض: 110.

ابن خلدون: 110.

ابن رشد: 110.

ابن رشد: 121.

ابن سينا: 110.

أبو العلاء المعري: 110.

أحمد الشيراوي: 123.

أحمد الجابر: 143، 144.

أحمد العمران: 53، 108، 128، 129.

أحمد بن شاهين الجلاهمة: 53، 129.

أحمد بن محمد الشريف السنوسي: 77.

أحمد حسن إبراهيم: 125.

أحمد شوقي: 124، 134، 138.

أحمد عبدالله المنصور: 77.

أحمد فخرو: 128.

أحمد كانو: 143.

أدريان فالانس: 172.

أردشير بن بابك: 117.

الإسكندر الكبير: 43، 44.

أمين الريحاني: 105، 106، 107، 108، 109، 123.

أنستاس ماري الكرملي: 33.

إنصاف الحلاق: 164.

ب

البخاري: 110.

بريدكس: 47.

بلجريف: 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 91، 126، 139، 141، 146، 156، 157، 158، 159.

بلفور: 61.

بلي: 27.

بندركار: 93، 94، 95، 96، 98، 100، 101، 102، 104.

البوكرك: 36.

ت

ترستان داكنها: 36.

تريان دي لا كودري: 40.

تي .جي. مادجويك: 154.

تي لنج كيز: 10.

ث

ثيودور بنت: 37، 41، 42، 47.

ج

الجاحظ: 121.

جاسكين: 27، 30.

جعفر الصالح: 140.

جعفر الناصر: 140.

جلال رستم: 60.

جمال الدين الأفغاني: 75.

جمال عبد الناصر: 91، 146.

جيمس موير ديك: 14، 18، 19.

ح

حافظ وهبة: 55، 58، 59، 61، 123.

حسن الجشي: 140.

حسن المدني: 141، 142، 144، 147.

حسن المهزع: 143.

حمد محمد الخليفة: 161، 165.

حمد بن عيسى آل خليفة: 26، 27، 69، 84، 86، 152، 154، 157، 178.

حمد بن محمد المحيميد: 53.

خ

خالد البسام: 16، 20، 79،

116، 122، 130، 139، 142، 146.

خالد الفرج: 123، 124.

خليفة القصيبي: 143، 144 .

خليل المؤيد: 115.

د

دان: 30.

الدميري: 110.

دورنـــد: 43، 44، 45، 46، 47.

ديفيس: 157.

ديلي: 86، 87، 88.

ر

راشد بن أحمد الزياني: 53، 138.

رزوق عيسى: 33، 34، 40.

رشيد رضا: 77، 117، 118.

رولنسن: 38، 41، 42، 44.

رياض الريس: 113، 121.

ز

زكريا البيات: 61، 62، 63.

س

سعد الشملان: 52، 115.

سعد زغلول: 61.

سلطان سيف: 143.

سلمان التاجر: 115، 123.

سلمان بن حمد آل خليفة: 162.

سلمان بن دعيج: 30

سلمان خليل كانو: 161.

سلمان كمال: 129.

سليمان الحمد البسام: 21، 79.

سليمان(النبي): 152.

سهير القلماوي: 116.

سيد رضا: 140.

ش

شكسبير: 87.

ص

صالح شهاب: 177، 178.

ع

عباس زكي: 53.

عبدالحسين جعفر: 166.

عبدالحسين منديل: 161.

عبدالرحمن الحاج خليل المؤيد: 143، 144.
عبدالرحمن الشملان: 51.
عبدالرحمن الشيراوي: 161، 164.
عبدالرحمن الكواكبي: 118.
عبدالرحمن المعاودة: 66، 128، 134، 138، 139.
عبدالرحمن تقي : 143.
عبدالرحمن عبد الغفار العلوي: 143، 178.
عبدالرحمن كانو: 166.
عبدالرسول التاجر: 140.
عبدالعزيز كانو: 161.
عبدالعزيز الرشيد: 126.
عبدالعزيز الشملان: 51، 52، 53، 56، 58، 63، 66، 67، 68، 74، 108، 111، 128، 131، 133، 138، 139، 147.
عبدالعزيز العتيقي : 54، 55، 59، 108.
عبدالعزيز المانع: 121، 122.
عبدالعزيز لطف الله علي: 77، 78، 79، 80.
عبدالعزيز ياسين الغربللي: 177.
عبدالكريم الخطابي: 79، 80.
عبدالله الزائد: 107، 123، 162.
عبدالله المهزع: 143.
عبدالله بن عيسى آل خليفة: 69، 108.
عبدالله بن يوسف الزياني: 53.
عبدالله علي كانو : 163، 166.
عبدالوهاب الزياني: 55.
عثمان الحوراني: 55، 59، 61، 64، 66، 67، 68.
عزيز أباظة: 138.
علي الفاضل: 115 .
علي الوزان: 172 ، 177.
علي بن إبراهيم الزياني: 53.
علي عبدالله خليفة: 148.
علي فخرو: 161، 165.
علي كانو: 115.
عمر المختار: 75، 78.
عمرو بن كلثوم: 124.
عنترة: 64.
عيسى الحادي: 137.
عيسى بن علي آل خليفة: 9، 10، 11، 13، 14، 16، 20، 26، 27، 28، 30، 95، 127.

ف

فرانز فرديناند: 9.
فرانك هولمز: 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160.

ق

قاسم الشيراوي: 75، 123، 139.
قاسم المهزع: 13، 14، 18، 20، 117، 118، 171.
قاسم حداد: 148.

ك

كرزون: 25، 26، 27، 28، 30، 32، 37.
كلودي جير دينير: 86.
كمال المهزع: 143، 144، 171، 172، 173، 174، 176، 177، 178، 179.
كنوس.بي. آل: 12.
كونفوشيوس: 39.
كيمبول: 28، 30.

ل

لوريمر: 26، 30، 31.

م

مارجوري: 87، 88.
مبارك الخاطر: 77، 78.
مبارك الخاطر: 125.
مبارك كانو: 166، 167.
المتنبي: 121.
محمد الباكر: 115.
محمد التاجر: 115.
محمد الحسن المحامي: 138.
محمد العريض: 115.
محمد الفراتي: 61، 123.
محمد الوزان: 125.
محمد بن أحمد مراد: 53.
محمد بن عبدالله آل خليفة: 123.
محمد بن علي عبيدلي: 53.
محمد بن عيسى آل خليفة: 123، 178.
محمد بن يوسف فخرو: 53.
محمد جابر الأنصاري: 148.
محمد دويغر: 140، 141.
محمد صالح السحيمي: 125.

محمد صالح بحر العلوم: 123، 127، 128.
محمد صالح: 115، 116، 117، 118، 129.
محمد عبدالله جمعة: 125.
محمد عبدالملك: 148.
محمد عبده: 75، 118.
محمد كانو: 143.
محمود المرادي: 145.
محمود يوسف خنجي: 140.
المسيح: 39.
مصطفى كامل: 75.
مقبل عبد الرحمن الذكير: 21، 78، 79، 113، 114، 119، 120، 121، 122.
المقريزي: 110.
منصورمحمد سرحان: 148.
مهدي عبدالله: 85.
مي محمد الخليفة: 113.
ميزا العريض: 140.

ن

ناصر الخيري: 115، 116، 117، 118.
نيرخوس: 43، 44.

هـ

هاشم الطبطبائي: 54.
هلال المطيري: 144.
هيرودوتس: 41.

ي

ياقوت: 110.
يوسف الشيراوي: 164.
يوسف زليخ: 140.
يوسف كانو: 11، 12، 78، 119.

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

فهرس الأماكن

أ

آسيا الوسطى: 39.

الأحساء: 29، 38، 105، 156.

الأزهر: 116.

ألمانيا: 9، 23.

الإمارات المتحدة: 159.

الأندلس: 110.

أوال: 64.

أوروبا: 9، 16، 18.

أوفير: 42.

إيران: 101.

ب

بابل: 40، 42، 44، 45.

باريس: 103.

البحر المتوسط: 42، 43.

البحرين: 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 47، 51، 52، 54، 56، 57، 60، 61 ، 62، 65، 66، 67، 69، 70، 71، 72، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 101، 102، 103، 104، 105، 107، 108، 111، 113، 114، 116، 117، 119، 122، 123، 124، 126، 127، 128، 129، 130، 131، 133، 134، 135، 138، 139، 141، 142، 146، 147، 148، 149، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167،

171، 172، 173، 175، 177، 178، 179.
بريطانيا: 9، 19، 25، 28، 29، 31، 47، 114.
البصرة: 12، 14، 19، 85.
بغداد: 33.
بلجيكا: 47.
بندر عباس: 26.
البنط: 38.
بوشهر: 120.
بومبي: 18، 93، 94، 105.
بيروت: 123، 128، 161، 162، 163، 167.

ت

تركيا: 9، 15، 18، 19، 20.
تكساس: 151.
تنجانيقا (تنزانيا): 83.

ج

الجابور: 61، 62.
الجامع الأكبر: 179.
الجامعة الأميركية (بيروت): 128، 161، 162، 163.
جامعة برمنجهام: 154.
جبل الدخان: 36، 45، 157.
الجرعاء: 42.
الجزيرة العربية: 23، 30، 38، 39، 98، 101، 114.
جزيرة تيرين: 43.
جزيرة جرادة: 96.
جزيرة حوار: 96.
جزيرة فشت الديبل: 96.
الجفير: 52.

ح

الحجاز: 105.
الحجر الأسود: 118.
الحد: 21، 62، 79.

خ

الخليج العربي: 25، 26، 28، 29، 31، 36، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 46، 83، 85، 93، 95، 114، 117، 151، 152، 156، 159، 160.
خورفشت: 96.

د

دارين: 43.
دبي: 101.
دجلة: 39.

دمشق: 55.

س

الساحلية: 61.
السودان: 83.
سوريا: 41، 56، 61، 66، 123.

ش

الشارقة: 26.
الشام: 56، 62، 66.

ص

الصخير: 62.
صور: 41، 44.
صيدا: 41، 44.
الصين: 16، 39، 40، 48.

ط

طرابلس: 78.
طهران: 27.
طيبة: 44.

ع

عالي: 33، 34، 40، 43، 47.
عبادان: 159.
العراق: 19، 56، 66، 123.
العقير: 29، 105.
علي (قرية): 36، 43، 47.
عمان: 31.

ف

الفاو: 19.
الفرات: 39.
فرنسا: 17.
فشت الجارم: 100.
فلسطين: 81، 83.
فينيقية: 43، 44.

ق

القاهرة: 7، 116، 125، 171.
قطر: 29، 30، 159.
القطيف: 29، 30، 42.

ك

كاليفورنيا: 157، 159.
كراتشي: 25، 26.
كربلاء: 42.
كرنك: 44.
كندا: 157.

كنيسة الإرسالية الأميركية: 158.
الكويت: 31، 56، 123، 156، 159.

ل

لبنان: 107، 161، 162، 167.
لنجة: 26.
لندن: 11، 12، 13، 14، 47، 78، 83، 85، 103، 113، 121، 141.
ليبيا: 77، 78.

م

ما بين النهرين: 39، 40.
المحرق: 21، 23، 52، 56، 57، 58، 61، 62، 65، 66، 69، 72، 73، 75، 79، 85، 89، 90، 101، 107، 113، 114، 122، 123، 125، 129، 130، 134، 135، 136، 137، 146، 148، 179.
مدرسة الإرسالية الأميركية: 114، 115.
مدرسة الإصلاح الأهلية: 178.
المدرسة التبشيرية الأميركية: 120.
المدرسة الشرقية: 142.
مدرسة الهداية الخليفية الخيرية: 52، 54، 57، 61، 63، 65، 66، 67، 71، 72، 73، 74، 107، 108، 109، 111، 123، 126، 146.
مستشفى فكتوريا: 18، 22، 86.
مسقط: 26، 31.
مصر: 44، 56، 66، 75، 78، 83، 85، 123، 172.
المعتمدية البريطانية: 27.
معهد الدراسات الإفريقية والشرقية: 85.
المغرب: 46، 79.
مكة: 77، 117.
مكتب المستعمرات البريطاني: 157.
مكتب الهند: 11، 12، 13، 14، 78، 141.
مكتبة الإرسالية الأميركية: 115، 120.
المكتبة الإنجيلية: 121.
مكتبة النادي الأدبي: 66.
المملكة العربية السعودية: 104.
المنامة: 15، 19، 22، 23،

27، 28، 34، 35، 47، 52، 56، 61، 73، 84، 85، 87، 89، 94، 105، 113، 114، 115، 121، 122، 125، 126، 132،136، 139، 140، 142، 145، 147، 148، 171، 173، 175، 177، 179.

المنتدى الإسلامي(المنامة): 124، 125، 126، 127، 131.

المنطقة المحايدة: 156.

مونتريال: 151.

ن

نادي اتحاد الريف: 147.

نادي إقبال أوال (المنامة): 115، 116، 117، 122.

النادي الأدبي الإسلامي (المنامة): 119، 120، 121، 122، 132.

النادي الأدبي الثاني (المحرق): 128، 129، 130، 134، 135.

النادي الأدبي (المحرق): 122، 123، 124، 125، 128.

النادي الأدبي: 107.

نادي الإصلاح الخليفي: 146.

نادي الإصلاح: 146.

النادي الأهلي: 133، 135، 138، 142، 143، 144ان 145، 146، 172.

نادي البحرين: 133، 135، 136، 137، 138، 139، 142، 145، 146، 172.

نادي البديخ: 147.

نادي البسيتين: 147.

نادي الترسانة: 148.

نادي الحالة: 147.

نادي الخريجين: 147.

نادي الدية: 147.

نادي الدير: 147.

نادي الرفاع الشرقي: 147.

نادي الرفاع الغربي: 147.

نادي الزلاق: 147.

النادي العربي: 148.

نادي العروبة: 132، 133، 135، 136، 138، 139، 140، 141، 142، 145، 146، 172.

نادي الفجر: 147.

نادي المختلط (مصر): 172.

نادي المختلط الرياض

(البحرين): 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179.
نادي المعامير: 147
نادي النبيه صالح: 147.
نادي النسور: 148.
نادي النعيم: 147.
نادي النهضة: 146.
نادي النويدرات: 147.
نادي باربار: 147.
نادي بني جمرة: 147.
نادي توبلي: 147.
نادي جد حفص: 147.
نادي دار كليب: 147.
نادي سترة: 147.
نادي سماهيج: 147.
نادي سنايس: 147.
نادي قلالي: 147.
نادي كرزكان: 147.
نادي لمحرق: 147، 148
نادي مدينة عيسى: 147.
نجد: 56، 105.
النجف: 42.
النمسا: 9.
النهر الأصفر: 39.
النوبة: 36.
نينوى: 44.
نيويورك: 151.

هـ

هرمز: 26.
الهند: 15، 16، 19، 22، 25، 29، 48، 84، 93، 101، 104، 110، 116.
هنغاريا: 9.

و

وكالة البحرين السياسية: 20، 22، 78.
الوكالة السياسية البريطانية (بوشهر): 120.
الوكالة السياسية البريطانية (البحرين): 18، 20، 21، 22، 23، 59، 66، 69، 75، 80، 93، 129، 130.

ي

اليابان: 48.
اليمن: 56، 105.

فهرس الشعوب والأمم والجماعات

أ

الآرامية: 43.

الأتراك: 20، 21، 79.

الإخوان المسلمون: 146.

الإفرنج: 110.

الأكراد: 14، 16.

الإمامية: 42.

الأميركيون: 159.

الأوروبيون: 110.

الإيطاليون: 77، 78.

ب

البابليون: 39، 40، 78.

البحرينيون: 18، 20، 21، 75، 77، 78، 79، 81، 89، 114، 119، 134، 163.

البدو: 97، 105.

البرتغاليون: 48.

البريطانيون: 12، 15، 16، 20، 21، 32، 48، 68، 79، 103، 129، 130.

البهرة: 101.

ر

الرومان: 48.

ش

الشوشنيون: 40.

ص

الصينيون: 39، 40، 41.

ط

الطورانيون: 41.

ع

العرب: 12، 15، 28، 36، 41، 43، 48، 55، 61، 64،

69، 77، 78، 79، 107، 110،
123، 162، 179.

ف

الفرس: 12، 16، 48.
الفرنسيون: 80، 103.
الفينيقيون: 42، 43، 48.

ك

الكلدانيون: 38، 39، 42،
48.
الكنعانيون: 41.

ل

الليبيون: 78.

م

المسلمون: 28، 63، 77،
117، 118، 119، 121.
المصريون: 38، 43.

ن

النجديون: 79.
النصارى: 14، 121.

هـ

الهنود: 12، 48.

ي

اليونان: 48.

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

فهرس الكتب والمجلات

أ

أوراق نادي العروبة: 138.

ب

البحرين في الحرب العالمية الأولى: 79.

ت

تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان: 177.

تلك الأيام حكايات وصور من بدايات البحرين: 116، 126، 139، 142، 146.

التوراة: 39.

ج

جريدة البحرين: 162، 172، 173، 177، 178.

جريدة البلاغ: 67.

جريدة التايمز: 83.

جريدة العروة الوثقى: 76، 77، 113.

جريدة المقتطف: 113، 115، 116.

جريدة المنار: 77، 113، 115، 116، 117، 118.

جريدة الهلال: 77، 113، 115، 116.

جريدة بومبي: 93.

ح

الحرب العالمية الأولى في البحرين، صدمة الاحتكاك: 16، 20.

خ

خليج الحكايات: 121، 130.

د

دراسات في أدب البحرين: 116، 124.

دليل الخليج: 26.

ع

العلاقات النفطية في البحرين: 155.

م

مجلة الاثنين: 144.

مجلة الجزيرة المنسية: 15، 18.

مجلة الحلقة: 161، 162، 166، 167.

مجلة الدنيا: 144.

مجلة الرابطة العربية: 144.

مجلة السجل: 144.

مجلة العروبة: 142.

مجلة الكويت: 126.

مجلة اللطائف المصورة: 144.

مجلة المواقف: 78.

مجلة صوت البحرين: 79، 80.

مجلة فتى الغرب: 144.

مجلة كلمات: 149.

مجلة لغة العرب: 33، 49.

مع شيخ الأدباء في البحرين إبراهيم بن محمد الخليفة: 113.

ملوك العرب: 105، 123.

و

واقع الحركة الفكرية في البحرين 1940-1990: 148.

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

كتب خالد البسام

المؤلفات:

1 ـ **تلك الأيام**؛ حكايات وصور من بدايات البحرين، الطبعة الأولى والثانية 1986م، 1987م، مطبوعات بانوراما؛ البحرين. الطبعة الثالثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ 2005م.

2 ـ **رجال في جزائر اللؤلؤ**؛ الطبعة الأولى؛ البحرين 1991م، الطبعة الثانية؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ 2007م.

3 ـ **خليج الحكايات**؛ الطبعة الأولى؛ رياض الريس للكتب والنشر؛ لندن؛ 1993م.

4 ـ **مرفأ الذكريات**؛ رحلات إلى الكويت القديمة؛ الطبعة الأولى؛ دار قرطاس للنشر؛ الكويت؛ 1995م.

5 ـ **بريد القلب**؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ 2000م.

6ـ **بساتين**؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ 2000م.

7 ـ **عزف على السطور**؛ المؤسسة العربية للدراسات

والنشر؛ 2000م.

8 ـ **حكايات من البحرين**؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ 2001م.

9 ـ **يا زمان الخليج**؛ دار الساقي؛ لندن؛ 2002م.

10 ـ **كلنا فداك؛ البحرين والقضية الفلسطينية**؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ 2005م.

11 ـ **النجدي الطيب**؛ سيرة التاجر والمثقف سليمان الحمد البسام 1888ـ1949م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ 2008م.

12 ـ **لا يوجد مصور في عنيزة** (رواية)؛ الطبعة الأولى؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ 2008م. الطبعة الثانية؛ الأمل للنشر؛ بيروت؛ 2009م.

الترجمات:

1 ـ **القوافل**؛ رحلات الإرسالية الأميركية إلى مدن وقرى الخليج والجزيرة العربية؛ 1901ـ1926م، الطبعة الأولى؛ البحرين 1993م. الطبعة الثانية؛ دار قرطاس؛ الكويت 2000م. الطبعة الثالثة؛ الأمل للنشر؛ بيروت 2009م.

2 ـ **صدمة الاحتكاك**؛ حكايات الإرسالية الأميركية في الخليج والجزيرة العربية 1892ـ1925م؛ الطبعة الأولى؛ دار الساقي؛ لندن 1998م. الطبعة الثانية؛ دار الساقي؛ بيروت؛ 2010م.

3 ـ **ثرثرة فوق دجلة**؛ حكايات التبشير المسيحي في العراق 1900ـ1935م؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت 2004م.

الإعداد:

1 ـ **نسوان زمان**؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ بيروت؛ 2002م.

2 ـ **يوميات المنفي**؛ عبدالعزيز الشملان في سانت هيلانة 1956ـ1961م؛ البحرين؛ الطبعة الأولى؛ 2007م.

ائتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

إئتلاف شباب ثورة 14 فبراير
مركز لؤلؤة البحرين للدراسات والبحوث

الكتاب

مع بزوغ القرن الميلادي العشرين بدأت ملامح الحياة في البحرين تتجه نحو شيء من التغيّر والتطوّر في المجالات كافة، سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية، وشكّلت البحرين سبقًا خليجيًّا في السينما والمسرح والطباعة والفنون...

يحاول الباحث والمؤرخ البحريني خالد البسّام أن يوثّق شيئًا من التاريخ الذي شهدته البحرين وهي تتّجه نحو التطوّر عبر رصد وتوثيق العديد من الحكايات والقصص التي أصبحت اليوم في ذمّة التاريخ.

إنها حكايات وقصص لجيل عاش شظف المعيشة وحقّق الرّيادة، لذلك كانت حكايات جديرة بأن توثّق وتروى.

جداول Jadawel
www.jadawel.net